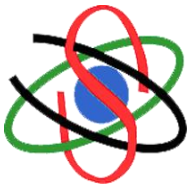

جامعة السودان المفتوحة
عمادة البحث العلمي

مجلة جامعة السُّودان المفتوحة

علمية محكمة

العدد السابع

ديسمبر
1442هـ - 2020م

© جميع الحقوق محفوظة لجامعة السودان المفتوحة

ردمك: 1858-7755

الناشر: جامعة السودان المفتوحة 1442هـ/ 2020م

المراسلات: مجلة جامعة السودان المفتوحة

عمادة البحث العلمي

جامعة السودان المفتوحة

شارع عبيد ختم، أركويت، الخرطوم

ص ب: 13091

هاتف: 00249 183247636

فاكس:00249 183242776

البريد الإلكتروني: ousjournal@gmail.com

ousjournal@ous.edu.sd

الموقع الإلكتروني: http://www.journal.ous.edu.sd

تنفيذ الموقع الإلكتروني: م. عثمان الأمين حسين

الجمع الإلكتروني: أ. وليد مهدي الشيخ هجو

تصميم الغلاف: أ. عثمان التجاني محمود

الهيئة الاستشارية

1. البروفسير الطيب أحمد المصطفى حياتي مدير الجامعة
2. البروفسير أحمد الطيب محمد أحمد أستاذ النبات، النيلين
3. البروفسير عوض إبراهيم عوض أستاذ الإعلام، جامعة أبها
4 البروفسير هشام عباس زكريا أستاذ الإعلام، جامعة الملك فيصل
5. البروفسير عمر الشيخ هجو أستاذ اللغة الإنجليزية، جامعة طيبة، المدينة المنورة
6. البروفسير عمر السيد الطيب العباس أستاذ الأدب العربي،جامعة القرآن الكريم
7. البروفسير مختار عثمان الصديق أستاذ علوم الاتصال، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا
8. البروفسير حسن عباس حسن أستاذ العلوم الإدارية، جامعة أم درمان الإسلامية
9. البروفسير عبد القادر محمد أحمد عبد الله أستاذ العلوم الإدارية والمالية، جامعة الخرطوم
10. البروفسير عبد الملك عبد الرحمن أستاذ الفيزياء، جامعة الخرطوم
11. البروفسير الحبر يوسف نور الدائم أستاذ اللغة العربية، جامعة الخرطوم
12. الدكتور عثمان عوض السيد محمد أستاذ التربية – جامعة السودان المفتوحة
13. الدكتور معتصم يوسف مصطفى أستاذ اللغة العربية،جامعة أم القرى، مكة المكرمة
14. الدكتور أحمد سمي جدو محمد نور أستاذ التاريخ، جامعة السودان المفتوحة

المشرف العام

أد.الطيب أحمد المصطفى حياتي

رئيس هيئة التحرير

دالصادق آدم عمر

أعضاء هيئة التحرير

أد. محمد إمام محمد أبو

أد. عبد الخالق فضل رحمة الله

أد. الخاتم عبد الرحمن أبو الحسن

د. عبد العزيز جابر محمد

د. أسعد جلال الدين

د. مأمون بشير مختار

د. علي محمد علي

د. كيريا أحمد محمد نصر

د.فع الله موسى رزق الله

قواعد النشر بالمجلة

أولاً: قواعد عامة

1. تخضع البحوث المقدّمة إلى المجلّة للتقويم والتحكيم.
2. تُقبل البحوث باللغة العربية والأجنبية.
3. يقدم الباحث طلباً موجهاً لرئيس التحرير لنشر بحثه مشفوعاً بسيرة ذاتية مختصرة له، تتضمن اسمه ودرجته العلميّة، وتخصصه، ووظيفته والجهة الّتي يعمل بها، وعنوانه الكامل متضمنًا العنوان البريدي وأرقام هواتفه وبريده الإلكتروني .
4. يرسل البحث عن طريق البريد الإلكتروني (ousjournal@gmail.com) على عنوان المجلة، مرفقاً مع رسالة لرئيس التحرير ،حيث تتم كافة المراسلات ولايقبل الورق أو القرص الإلكتروني (CD).
5. لا يكون البحث قد سبق نشره على أي نحو كان، أو تم إرساله للنشر في مجلة أخرى، ولا يتم إرساله لمجلة أخرى حتى يتلقى من رئيس التحرير ما يفيد بعدم قبول بحثه للنشر.
6. يُخطر أصحاب البحوث بالقرار حول صلاحيتها للنشر أو عدمها في أقرب وقت ممكن.
7. يلتزم الباحث بإجراء تعديلات المحكمين على بحثه وفق التقارير المرسلة إليه، وموافاة المجلة بنسخة مرفقة على رسالة بالبريد الإلكتروني موجهة لرئيس التحرير، في ما لا يزيد عن أسبوعين من تاريخ إرسال التعديلات إليه، وفي حالة احتياجه لفترة أطول عليه طلب فترة إضافية من رئيس التحرير قبل نهاية الأسبوعين.
8. لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد إرساله للتحكيم إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير.
9. تعتبر قرارات هيئة التحرير بشأن البحوث المقدّمة إلى المجلّة نهائيّة، وتحتفظ الهيئة بحقها في عدم إبداء مبرّرات لقراراتها.
10. في حال قبول البحث للنشر في المجلّة لا يُسمح للباحث بنشره في مكانٍ آخر.
11. تنشر الأعمال العلمية على مسئولية أصحابها والمجلة غير مسئولة عن آراء وأفكار وردت بالبحث.
12. لا يعطى الباحث خطاب قبول نهائي لنشر بحثه إلا بعد استيفائه لكافة التعديلات المطلوبة من المحكمين ورئيس التحرير.
13. القبول المبدئي لنشر البحث بالمجلة لا يعني القبول النهائي.

14. يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية.
15. يُراعى في أولوية النشر بالمجلة ما يأتي:
    أ. البحوث المرتبطة بالتعليم عن بعد والتعليم المفتوح.
    ب. تاريخ وصول البحث لرئيس تحرير المجلة.
    ت. استيفاء الموضوع كافة إجراءات النشر.
    ث. تنوع مَوْضُوعات البحوث .

ثانياً: موجهات تحريرية لإعداد البحث للنشر بالمجلة

كل بحث يقدم للنشر بالمجلة لابد أن يراعي الموجهات التحريرية التالية حتى يمكن النظر في إمكانية قبوله للتحكيم. عدم الالتزام بهذه الموجهات يعرض البحث لعدم النظر فيه. عند التقديم يقوم الباحث بملء إستمارة التقديم للمجلة ويرسلها مع البحث عن طريق البريد الإلكتروني.

1. **عنوان البحث:** يكتب عنوان للبحث بأقل عدد من الكلمات التي توضح بجلاء مسألة البحث.
2. **المؤلفون:** يكتب اسم المؤلف (أو المؤلفون) بدون ألقاب بالشكل المعروف به في المجال العلمي، ويشار إلى من تتم معه المراسلات أن كانوا أكثر من واحد. وتكتب بعد ذلك عناوين المؤلفين إذا لم يكونوا في نفس العنوان.
3. **النص:**

أ. على الباحث أن يراعي الأسلوب العلمي في كتابة البحث العلمي.

ب. لا يتجاوز البحث المقدّم خمس عشرة صفحة ولا يزيد عن عشرين صفحة بهوامش من الحجم العادي (A4 Normal)، بما فيها المقدمة والملحقات وقائمة المصادر والمراجع ومسرد المصطلحات.

ت. أن يكون البحث مكتوباً بواسطة برنامج ميكروسوفت وورد.

ث. متن النصSimplified Arabic عادي (حجم الخط 14)، إذا كانت لغة البحث هي العربية، إما إذا كانت لغته هي الأجنبية فيستخدم في متن النص Times New Roman (حجم الخط 12).

ج. العناوين الرئيسة Simplified Arabic أسود (حجم الخط 18)، إذا كانت لغة البحث هي العربية، إما إذا كانت لغته هي الفرنجية فيستخدم في العناوين الرئيسة Times New Roman (حجم الخط 16).

ح. العناوين الفرعية Simplified Arabic أسود (حجم الخط 16)، إذا كانت لغة البحث هي العربية، إما إذا كانت لغته هي الفرنجية فيستخدم في العناوين الفرعية Times New Roman أسود (حجم الخط 14).

خ. لا تقبل المراجع في هوامش الصفحات الداخلية للبحث.

د. تترك مسافة (1.5) بين السطور.

ذ. تنقل الآيات القرآنية من المصحف مباشرة.

ر. يكتب اسم أي مؤلف أجنبي بالعربية والأجنبية معاً (الأخيرة بين قوسين هلاليين) في أول ورود له في النص، وبالعربية وحدها بعد ذلك في النص العربي.

4. المستخلص:

أ. يرفق الباحث مع البحث وفي صفحة منفصلة مستخلص باللغتين العربية والإنجليزية، إن كان البحث بالعربية أو الإنجليزية، على ألا يقلّ كلّ مستخلص عن (150) كلمة ولا يزيد على (250) كلمة.

ب. في سطر منفصل تحت كل مستخلص تكتب بلغته بين 4– 7 كلمات مفتاحية تشير إلى موضوع البحث وتدلل عليه.

5. المقدمة:

تتضمن المقدمة الجزء النظري للبحث وفيها يستفاد من الأبحاث السابقة،وهو استعراض البحوث المنشورة ذات الصلة بموضوع البحث في تحديد مسألة البحث وأهميتها منعاٍ للتكرار، كما تتضمن أهداف البحث وأهميته وأسباب القيام به. لابد أن تكتب مصادر جميع المعلومات التي اشتملت عليها المقدمة في المتن بطريقة كتابة المصادر الموضحة في الفقرة رقم 10 أدناه. يراعى عند كتابة المقدمة الفرق بين النص النظري لكتابة الورقة البحثية والنص النظري لبحوث الرسائل العلمية، ولا يقبل النقل الميكانيكي لبحوث الرسائل العلمية (الانتحال). تكتب مبررات البحث وأسئلته في نهاية المقدمة كجزء منها، ويجب ألا تتجاوز صفحتين.

6. طريقة وأدوات عمل البحث:

توضح بالتفصيل الطريقة والأدوات التي اتبعت في عمل البحث، مع الإشارة للمصادر التي تمت الاستفادة من معلوماتها (إن وجدت). ولا يتم شرح نظريات معروفة بل يتم فقط ذكرها حين الاستعانة بها.

7. النتائج:

يتم عرض النتائج التي توصلت إليها الدراسة بطريقة علمية متدرجة وواضحة ويتم وصفها بلغة علمية سليمة. وفي حالة الاستعانة بأي أشكال أو صور أو رسوم بيانية يشار إليها في المتن بأرقامها حين الحديث عنها وتوصف بما لا يظهر التكرار، ولا يكرر توضيح نفس النتائج بأكثر من طريقة واحدة، وفي حالة الاستعانة بالجداول توضع النتائج في أقل عدد ممكن منها.

8. المناقشة:

تناقش النتائج في عنوان منفصل ويتم تفسيرها وعرضها على، ومقارنتها مع، الدراسات والبحوث السابقة ولا يتم تكرار كتابة النتائج مرة أخرى لوحدها.

9. الخلاصة والتوصيات:

يتم عرض خلاصة للبحث وما توصل إليه من توصيات تتضمن مقترحات لدراسات أخرى لمواصلة ومتابعة نتائج البحث الحالي.

10. المراجع:

أ. لا بد من الإحالة لأي مصدر أو مرجع مستشهَد به أو مرويٍّ عنه، ولأي مؤلف مذكور في النص. تُكتَب الإحالة بالسنة والصفحة بين قوسين هلاليَّيْن في النص نفسه. ولا بد من أن يورد في قائمة المصادر والمراجع أيُّ عمل علمي محال إليه في النص، بحيث تتطابق المصادرُ والمراجعُ المحال إليها في النص مع ما في قائمة المصادر والمراجع.

ب. يكتب اسم أي مؤلف لأي مرجع داخل المتن باسم العائلة متبوعاً بفاصلة ثم تكتب سنة النشر. وإذا كان هناك مؤلفان يكتبان وبينهما (و)، أي فلان وفلان، ثم تكتب السنة بعد الفاصلة. أما إذا كان المؤلفون أكثر من ذلك فيكتب اسم المؤلف الأول فقط ويتبع بكلمة وآخرون، ثم سنة النشر.

ت. يكتب اسم أي مؤلف أجنبي بالعربية والأجنبية معاً (الأخيرة بين قوسين هلاليين) في أول ورود له في النص، ثم بالعربية وحدها بعد ذلك.

ث. يجب إثبات المصادر والمراجع مستوفاة في آخر البحث مرتّبة هجائياً (أ، ب، ت، ث) والأجنبية في قائمة منفصلة كذلك مرتبة هجائياً (A,B,C) حسب المنهج الموضح أدناه.

ج. يرد اسم المؤلف في بداية السطر، بدءًا باسم العائلة، يليه اسمه الأول، أو حرف اسمه الأول إن كان أجنبيًّا.

ح. تأتي سنة النشر الهجرية قبل السنة الميلادية إن ذُكر التقويمان لضرورة. بعد مسافتين في السطر نفسه يرد عنوان العمل العلمي، وفي آخره مكان النشر، ثم الناشر.

خ. تكون عناوين البحوث، المنشورة في مجلات أو كتب محررة، بين علامتي تنصيص.

د. تُكتب عناوين المجلات أو الكتب العربية بالخط الأسود، وبالخط العادي المائل إن كانت بالأجنبية.

11. الصور الفوتوغرافية والأشكال التوضيحية والرسوم البيانية والجداول:

أ. لا بد أن تكون أحجام الصور والرسوم البيانية والأشكال التوضيحة والجداول بأحجام مناسبة ولا تتعدى مع عناوينها حجم الصفحة الواحدة.

ب. في حالة استخدام مادة منشورة يتعين على المؤلف أن يحصل على إذن مكتوب من الجهة صاحبة الملكية الفكرية، ويرفق ذلك مع البحث. كما عليه أن يذكر ذلك تحت الشكل.

ت. تتم كتابة عنوان مختصر واضح لكل شكل ، وترقم الأشكال والصور والرسوم البيانية متتالية (هكذا: **شكل 1** موضوع الشكل إلخ) حسب ترتيب ظهورها في البحث، كما يشار إليها بأرقامها في مواقعها حين يأتي ذكرها. أما الجداول فترقم على حدة هكذا: **جدول 1** موضوع الجدول...إلخ.

ث. **الصور الفوتوقرافية:** يجب أن تكون الصور جيدة النوعية ولا تقبل الصور الباهتة وستتم طباعة الصور في النسخ الورقية باللون الأبيض والأسود وفي حالة أهمية الألوان يلتزم المؤلف بدفع قيمة الطباعة.

ج. **الأشكال التوضيحية:** يجب استخدام رسومات أصلية، وإذا كانت مصورة فيجب استخدام الماسح الضوئي (scaner) وتصور من أصول جيدة النوعية، ولا تقبل الرسومات الباهتة.

ح. **الرسوم البيانية:** حين تستخدم الرسوم البيانية يجب استخدام اللونين الأبيض والأسود، وتكون الخطوط بسيطة ولا تستخدم الخطوط الثنائية وتكون الخلفيات بيضاء. ويستخدم في تنفيذه برنامج مايكروسوفت إكسل، ويرسل ملف إكسل المحتوي على الرسومات مع البحث.

خ. **الجداول:** يرسم الجدول بخطوط بسيطة مفردة (مقاس pt½) ولا تقبل الخطوط المزدوجة أو السميكة.

12. عنواني البريد الإلكتروني للمجلة:

ousjournal@gmail.com

ousjournal@ous.edu.sd

13. موقع المجلة الإلكتروني:

journal.ous.edu.sd

أهداف المجلة

1. تشجيع البحث العلمي والالتزام بقواعد النشر.
2. الاهتمام برسالة الجامعة وإتاحة التعليم للجميع.
3. مواكبة التقنيات الحديثة في مجال التعليم المفتوح والتعليم عن بعد.
4. المساهمة في قضايا السلام والتنمية.

مجالات المجلة

1. تطوير المناهج في مجال العلوم التربوية، والإنسانية والأساسية.
2. قضايا التعليم المفتوح والتعليم عن بعد ومطلوباتهما وعلاقتهما مع غيرهما من المجالات.
3. القضايا التربوية المعاصرة.
4. استخدام التقنية في المجالات العلمية المتقدمة.
5. قضايا السلام والتنمية وخدمة المجتمع.

قائمة المحتويات

الرقم	البحوث العلمية	رقم الصفحة
1	كلمة رئيس هيئة التحرير	ك
2	مدح الصحابة الكرام والأولياء والصالحين في شعر البرعيين (دراسة مقارنة). فتح الرحمن السيد محمد عثمان	1
3	أثر تطبيق النموذج الأوربي للتميز على نتائج الأعمال دراسة على عينة من مؤسسات القطاع الخدمي ولاية الخرطوم أحمد موسى إسماعيل محمد، وسامي مصطفى محمد علي، وإدريس حسن الحاج علي	36
4	توظيف شخصية المتصوف محي الدين بن العربي في شعر البياتي: قصيدة عين الشمس "نموذجاً" الصادق آدم عمر	50
5	الإحالة ودورها في تحقيق التماسك النصي (خطبة حجة الوداع نموذجا) إيمان عمر محمد جادالله	63
6	أثر الإنفَاق العام على النمو الإقتصادي في السودان 1993- 2018 معتز آدم عبدالرحيم محمد، وعادل عبد الله آدم محمد	82
7	السلطان علي دينار وسلطنة دار مساليت ومقاومتها للإستعمار الفرنسي 1898—1916م. آدم محمد حسن أبكر كبس	108

كلمة العدد

عزيزي القارئ

الحمد لله الذي خلق ولا خالق سواه، خلق الإنسان من علق، وكرمه وعلمه وسواه، أحمدك اللهم ربنا الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، وصلاة الله تعالى الآمر بالصلاة على عبده المخصوص بعلم القرآن سيد الإنسان ولسان البيان سيدنا محمد ولد عدنان وعلى آل بيته الجواهر الثمان، وصحابته الغر النجوم الأعيان، وسلم تسليماً كثيراً في كل حين وآن.

وبعدُ لما كان البحث العلمي أمر ضروري في حياة المجتمعات، لأنه شريان النهضة العلمية والتنمية الصناعية في جميع مجالات الحياة، ومن ثم يقوم بتغذية الفكر الذي يحدث به التحول والتغيير في الإنسان على كل الأصعدة، والبحث العلمي هو أساس لتقدم الأمم، فعمادة البحث العلمي بجامعة السودان المفتوحة تسعد أن تقدم إليكم العدد السابع من مجلتها العلمية المحكمة، ويعكس هذا العدد من المحاور والتخصصات مجالات المجلة المتعددة، مما يتيح للباحثين في كافة المجالات الإقبال على النشر فيها، حيث ظلت هذه المجلة تهتم منذ انطلاقتها الأولى بالكيف لا بالكم، من حيث الاتقان والاهتمام بنوعية البحوث المقبولة للنشر من ناحية التأليف والتحكيم، والتوثيق، والتدقيق اللغوي والتحرير، وتطبيق قواعد النشر المتقنة، وجعلت هدفها الوصول إلى المستويات العالمية.

وفي إطار السعي نحو التميز والمواكبة والتطوير المستمر، فقد تمت عدة إنجازات منها النشر الإلكتروني، حيث اكتمل ورُفع موقع إلكتروني خاص بالمجلة على موقع الجامعة، يحتوي على الأعداد السابقة، وتحتوي صفحته الرئيسة على العدد الأخير للمجلة، يحتوي الموقع على البحث كاملاً مع المستخلص باللغتين العربية والإنجليزية، واللغة التي كتب بها البحث واللغة الأخرى، وننوه أنه يوجد على الموقع طريقة تقديم بحث للمجلة مع توضيح مفصَل لقواعد النشر، كما نشرت المجلة ضمن قواعد بيانات إقليمية هي دار المنظومة.

أصبحت المجلة لا تقبل أي مراسلات ورقية، سواء أكانت من الباحثين أو محكمي الأوراق العلمية، بل تتم كل المراسلات عبر البريد الإلكتروني، كما ستصدر المجلة نصف سنوية بإذن الله.

وفي الختام لا يسعنا إلا الشكر الجزيل لكل من ساهم في هذا العدد، سواء أكان من الباحثين أو المحكمين، أو المدققين والمحررين، ورئيس قسم المجلة ورئيس قسم البحث العلمي، نسأل الله أن يكون ذلك في ميزان الحسنات إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلِ اللهم على أفضل الخلق الرحمة المهداة والنعمة المسداة وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. الصادق آدم عمر
عميد عمادة البحث العلمي
رئيس هيئة التحرير

مدح الصحابة الكرام والأولياء والصالحين في شعر البرعيين

(دراسة مقارنة)

فتح الرحمن السيد محمد عثمان

جامعة كردفان

المستخلص

هدفت الدراسة إلى إظهار فضل الصحابة الكرام الذين لم يجدوا حظاً وافراً من مدح شعراء المدح النبوي كالذي وجدوه عند البرعيين، فقد أفاض برعي السودان شعراً جيدا يليق بمقامهم الجليل، وكذلك الصالحين من شيوخه، ومثله برعي اليمن، فحاول الباحث دراسة شعرهما بالتحليل والموازنة في مختلف الجوانب الفنية المتعلقة بالصحابة والصالحين. وتكمن أهمية البحث في تكريم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرورة إظهار فضلهم. انتهج الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وتتكون خطة الدراسة من مبحثين. تضمنت الدراسة تعريفاً مختصراً للصحابة الكرام، رضي الله عنهم، ومدح المولي جل جلاله لهم في كتابه الكريم، وثناء رسول الله عليهم. ثم تناولت مدح البرعيين لهم وعدد صفات مدحهم، رضي الله عنهم وركز علي مدحهما للخلفاء الراشدين، ثم تناول في المبحث الثاني: مدح الصالحين من شيوخ التصوف. ثم استنتج الباحث ما يلي: 1- تأثر البرعيان ببعض الشعراء ممن سبقهوهما كأبي الطيب المتنبي. 2-تأثر برعي السودان ببرعي اليمن وحاكاه. 3-أكثرا في شعرهما من والاقتباس والتضمين من القرآن والسنة وغيرها. 4- مصادر معاني شعر البرعيين مستقاة من القرآن والسنة وفكر التصوف والشعر القديم ، استفاد برعي السودان من التراث الشعري الشعبي في السودان . وعليه يوصي الباحث الباحثين بدراسة شعر البرعيين.

Abstract

The study aimed to show the merit of the honorable companions who did not find much luck in praising the poets of the Prophet's praise, such as what they found in Al-Buraeiyin. Al-Burae of Sudan has enriched their venerable position with good poetry worthy of, as well as the righteous of his sheiks, and likewise, Al-Buraeiyin of Yemen, So, the researcher tried to study their poetry by analyzing and balancing in various aspects related to the Companions and the righteous. The importance of the research lies in honoring the companions of the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, and the necessity of showing their merit. The researcher adopted the descriptive-analytical approach, and the study plan consists of two sections. The study included a brief definition of the honorable Companions, may God be pleased with them, the praise of the Almighty for them in his Noble Book, and the praise of the Messenger of God for them. Then, the researcher dealt with the praise of Al-Buraeiyin for them and the number of attributes of their praise, may God be pleased with them, and focused on their praise of the Rightly-Guided Caliphs, then dealt in the second topic: praising the righteous from the sheiks of Sufism. Then the researcher concluded the following: 1- Al-Burayan were influenced by some of the poets who preceded them, such as Abu Al-Tayyib Al-Mutanabbi. 2- Al-Burae of Sudan was affected by Al-Burae of Yemen and imitated him. 3- They made more quoting and embedding from the Qur'an, Sunnah, and others in their poetry. 4- The sources of the meanings of Al-Buraeiyin poetry are derived from the Qur'an, Sunnah, Sufism thought, and ancient poetry. Al-Burae of Sudan benefited from the popular poetic

heritage in Sudan. Accordingly, the researcher recommends researchers to study the poetry of Al-Buraeiyin.

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم. أحمده الذي بفضله ونعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على نبيه الكريم، سيد الأولين والآخرين، وعلى آل بيته وأصحابه وأزواجه الطيبين الطاهرين.

وبعد:

إنَّ الباحث عن تراجم شخصيات لها إسهام مؤثر، وقادرة على جذب الاهتمام نحوها، أمر في غاية الأهمية، والشيخان عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي اليماني، وعبد الرحيم محمد وقيع الله البرعي السوداني شخصيتان جدير بأن يتعرف المسلمون عليهما، لما في شعرهما من مكانة عظيمة في نفوس الخاصة والعامة من أبناء الأمة الإسلامية، حيث وجدوا في شعرهما منهلاً عذباً يرتشفون منه طاقات روحية مفعمة بمعان إسلامية عظيمة، تملأ نفوسهم بمحبة الله وخشيته، والاستعانة به وبمحبة النبي صلي الله عليه وسلم، فلقد كان البرعيان من أشد شعراء الصوفية هياماً وولوعاً بحب الذات المحمدية على صاحبها أفضل الصلوات وأزكي التسليم، ولولا الروح الإسلامية المرفوفة والمعاني السامية الخالدة التي تفيض وتجيش بها قصائدهما، لما كتبَ لها البقاء والسيرورة في كل عالمنا الإسلامي.

وقد عرفهما الناس من خلال مدائحهما سماعاً، عبر الوسائل الإعلامية، وقد خلط الكثيرون بينهما ولم يميزوا شعرهما، لذلك أحببت أن يعرفهما الناس من خلال شعرهما دراسةً، فأرجو أن أكون قد وُفِّقْتُ للغاية المنشودة في التعريف بالبرعيين.

فهما شاعران جيدا السبك، وعالمان جليلان مصلحان، وقد جدد برعي السودان في قوالب الشعر العامي. لذلك أحببت أن أظهر هذا البحث من خلال تحليل شعرهما ونقده ، فسميت الدراسة " (**مدح الصحابة الكرام والأولياء والصالحين في شعر البرعيين**)

أسباب اختيار الموضوع :

لم يجد الصحابة الكرام حظاً وافراً من مدح الشعراء كالذي وجدوه عند البرعيين، فقد أفاض برعي السودان شعراً جيدا يليق بمقامهم الجليل، وكذلك الصالحين من شيوخه، ومثله برعي اليمن، فحاول الباحث دراسة شعرهما بالتحليل والموازنة في مختلف الجوانب الفنية المتعلقة بالصحابة والصالحين.

منهج البحث :

انتهج البحث المنهج والوصفي ،التحليلي.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مبحثين تناول الباحث في المبحث الأول: مدح الصحابة الكرام رضي الله عنهم اجمعين وفي المبحث الثاني: تناول مدح الصالحين.

المبحث الأول: مدح الصحابة الكرام رضي الله عنهم اجمعين

لقد مدح الله صحابة نبيه الكريم في كتابه العزيز في أكثر من موضع . وهم أهل لذلك . قال تعالي: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)، الفتح: 29. وقال تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) التوبة: 170. وقد نهى النبي الكريم عن الخوض في ما لا يليق بهم، فقال صلي الله عليه وسلم (إذا ذُكِرَ أصحابي فامسكوا) لذلك أجمع علماء السنة علي عدالتهم كلهم، صغيرهم وكبيرهم، فلا يجوز الانتقاد عليهم بما صدر عن بعضهم، والذي حكاه القاضي عياض أنه أوجب القطع بأنهم خير الناس بعد النبيين والمرسلين لما اتصفوا به من الهجرة وترك الأهل والأوطان وبذل النفوس والأموال في نصرة الدين، وقتل الآباء والأبناء والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين وغير ذلك من المنح الإلهية).

(عياض، 2006م ،ص 63)

فقد وجدت شعراء المديح النبوي لا يفرقون بينهم وبين ورسول الله صلي الله عليه وسلم، فلذلك من الوفاء أن يُذكر فضلُهم إلى جانب فضله صلي الله عليه وسلم، بذلوا له أموالهم ودماءهم، وأوقاتهم وصحبوه وآووه، وجاهدوا معه، وهاجروا لنصرته، وحملوا الراية من بعده، ووطدوا أركان الدين فاستحقوا المدح الثناء؛ فالعاقل لا يفرق بينهم، وألا يخوض فيما شجر بينهم؛ فإن اجتهدوا فأخطأوا، فهم بشر، ولهم أجر الإجتهاد، غير أن الله تعالى قد فضلهم على سائر الناس بحق الصحبة وهي درجة التكريم، فشعراء المديح يلتزمون هذا الادب. قال برعي السودان في قصيدته "صحب الرسول أعلام".

صُحْبَ الرَّسُولْ أَعْلامْ رَاكْبِيْنَ الخُيُــوْل

لَنُصْـرَةِ الإِسْـــــلامْ عَجَبُوْنِيْ الجَمِيْعْ

(وقيع الله،2002، 34)

هذه نظرة مثالية في حق صحابة رسول الله، وبرعي السودان قد تميز عن غيره في إفراده لهم ديواناً كاملاً، مدحهم فيه، فما ترك فضيلة إلا ونسبها إليهم، بل منهم من أفرد له قصيدة كاملة كالخلفاء الأربعة، مدح كل واحد منهم بقصيدة مستقلة أو أكثر من قصيدة كذلك مدح العباس، وبلالاً، وسيدتنا خديجة، كلاً بقصيدة مستقلة–رضي الله عنهم أجمعين–ثم مدح بقيتهم في عدد من القصائد.

أما برعي اليمن فقد أعطاهم حقهم كاملاً، غير أنه ركز في مدحهم على فضيلة الجهاد والاستشهاد. قال برعي اليمن:

يَلْقَــى المُسِــيْئِيْنَ بالحُسْــنَى كَعَادَتِــهِ ويُوسِـــعُ المـــذنبين العفـــوَ مَقْتَـــدِرَا
لمَّــا غَــدَا واعِظَــاً صُــمُّوا فَخَــاطَبَهم بالسَّــيْفِ بَأْسَــاً فَلَبَّــى السَّــيْفُ إذْ شُــهِرَا
وَشَــنَّ غَارَاتِــهِ فــي كُــلِّ نَاحِيَــةٍ وَقَـــامَ للهِ والإسْـــلامِ مُنْتَصِـــرَا
بِفِتيَــةٍ مِــنْ قُــرَيْشٍ الأبطحــينَ وَمِــنْ أَبْنَــاءِ قِيْلَــةَ أَهْــلُ الــدَّارِ أُسِــدُ شَــرَى
قومــاً أقَــاموا حُــدُودَ اللهِ وابْتَــدَرُوا ظِـلَّ السُـيُوفِ لِيُعْطَـوا أَجْـرَ مَـنْ صَـبَرَا
واخْلصـــوا ديـــنهم لله واعْتصـــموا بـــالله وامْتثلـــوا للهِ مَـــا أَمَـــرَا
بـــاعُوا نَفَائِسَـــهُمْ منـــه وأَنْفُسَـــهُمْ بِجَنَّـــةِ الخُلْـــدِ بَيْعَـــاً رَابِحَـــاً فَشَـــرَى
ودَمَّـــرُوا كُـــلَّ بَـــاقٍ عَـــزَّ جَانِبُـــهُ بالسيف حتـى اسِـتَبَاحُوا البَـدْوَ والحَضَـرَا
محبـــةً لِنَبِـــيٍّ بَيـــنَ أَظْـهُرِهِـــمْ غَـدَا بِـهِ الـدِّيْنُ فـي الآفَـاقِ مُشْـتَهِرَا

(اليماني ،1983، 63)

وقال أيضاً:

أَصْـــحَابِي دَعُـــوا عَبَـــراتِ جَفْنِـــي تَجِـــدُ بَـــدْراً فَطَيْبَـــةَ فَالبَقِيْعَـــا
فـــإنَّ بِهـــا نَبْيـــاً هَاشُـــمِيَّاً شَـــكُوراً صَـــابِراً بَـــرَّاً خَشُـــوعَا
وقَوْمـــاً جاهَـــدُوا فـــي اللهِ حتَّـــى سَـــقَوا أَعـــدَاءَه السُّـــمَّ النَّقِيْعَـــا
أُسْـــودٌ تُفَـــرَّقُ الهَيْجـــاء مـــنهم إذا لَبِسُـــوا دِمَـــائَهُمُ دِرُوَعـــا
وإنْ نهضـــتْ كتيبـــتُهم لحَـــيٍّ كَثيـــرِ الجمـــعِ فرَّقـــتْ الجُموعـــا
بكـــلِّ فتـــىً يخـــوضُ الهـــوْلَ سَـــعياً إلـــى الضـــربِ المُبَـــرِّحِ لا جَزُوَعـــا
فكـــم حَملـــتْ عِتَـــاقُ الخَيْـــلِ مـــنهم أُسُـــودٌ تَـــدْهِشُ الأســـدَ الشَّـــجِيْعا
وكـــم شـــجرتْ لهـــم فـــوقَ الهـــوادي رمـــاحٌ تمنـــعُ الطيـــرَ الوقُوعـــا
وبِـــيْضٌ فـــي ســـماءِ النَّقْـــعِ بِـــيْضٌ تـــرى لِشِمُوْسِـــها فيهـــا طُلُوعـــا
إذا اشـــتعلَ الظُّبَـــا لَهَبَـــاً ظَنَنَّـــا مَتُـــونَ الخطِيَّـــاتِ لهـــا شُـــمُوعَا
لقـــد صـــنعوا مـــن العـــزِّ شُـــعُوباً كَمَـــا صُـــرِعُوا فـــي التَّقـــوى صَـــرُوعا
رمـــتْ بهـــم الصَـــوَافِنُ كُـــلَّ ثَغْـــرٍ كَـــأَنَّ لهـــا بِـــهِ مَرْعَـــىً مَرِيْعَـــا
فكـــمْ غمـــر طَغَـــى وَبَغَـــى علـــيهم فبَـــاتَ مُجَـــدَّلَ القَـــبْرِ ضَـــجِيْعَا
وذُو نَظَـــرٍ سَـــعَى حَتَّـــى رَآهُـــمْ فَخَـــرَّ لِهَـــوْلِ هَيْبَـــتِهِمْ صَـــرِيْعا
إذا سَـــلَّوا سُـــيُوفَ الهِنْـــدِ ظَلَّـــتْ رؤوسُ المشـــركينَ لهـــا رُكُوعَـــا
مَدَحْـــتُ أولئـــكَ المَـــلأَ افْتِخَـــاراً فَصَـــارَ بِمَـــدْحِهِم زَمَنِـــيْ رَبِيْعَـــا

(اليماني ،1983، 49)

وقال أيضاً في مدح الخلفاء الأربعة والصحابة الكرام في قصيدته التي أولها:

ضحكـــت بروق الأبرقــين تبسما وسمـــت نجـــوم الحق في كبد السما

إلى أن قال:

وعلـــى أبِـــي بَكْـــرٍ فَـَقَـــدْ سَـــبَقَ الـــوَرَى فَضْـــــلاً وتَصْـــــدِيْقاً مُـــــذْ أَسْـــــلَمَا

عَضَّـــــدَ الرَّسُـــــولَ بنفْسِـــــهِ وبِمَالِـــــهِ طُـــوَبَى لِـــذلِكِ مَـــا أَبَـــرَّ وَأَرْحَمَـــا

وَعَلَـــى الفَتَـــى عُمَـــرَ الـــذي بِجِهَـــادِهِ فـــي الله حـــلَّ بِسَـــيْفِهِ مَـــا اسْـــتَبْهَمَا

فَـــتَحَ الفُتُـــوحَ وغَـــادَرَتْ فَتْحَاتُـــه رســـمَ الضَّـــلالةِ دَارِسَـــاً مُتهَـــدِّما

وعلـــى شـــهيد الـــدَّارَ عُثْمَـــانَ الـــذي مِـــنْ نُـــوْرِهِ اسْـــتَحْيَتْ مَلائِكَـــةُ السَّـــمَا

والآلِ والصُـــحْبِ الكِـــرَامِ فـــإنَّهم شُـــهْبٌ إذا لَيْـــلُ الحَـــوَادِثِ أَظْلَمَـــا

الضَّـــاحِكُونَ إذا الوُجُـــوهُ عَـــوَابِسٌ والمُقْـــدِمُونَ إذا المُقَـــدّمُ أَحْجَمَـــا

سُـــحْبُ النَّـــدَى شَـــهِدوا الهِدَايَـــةَ كُلُّهُـــمْ يَلْقَـــى العِـــدَا أســـداً وأُسُـــودٌ أَرْقَمَـــا

لِلْـــوَحْشِ رِزْقٌ مِـــنْ حَصَـــادِ سُـــيُوفِهِمْ شَـــبَعَاً وَرَيَّـــاً كَـــانَ لَحْمَـــاً أَوْ دَمَـــا

جَعَلُـــوا نَفَائِسَـــهُم وأَنْفُسَـــهُم حِمَـــىً لِلـــدِّيْنِ حَتَّـــى كَـــانَ دِيْنَـــاً قَيِّمَـــا

(اليماني ،1983، 88)

نجد برعي اليمن يذكر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نهاية قصائده، فلا تكاد تخلو قصيدة من مدائحه النبوية من ذكرهم، وتتبع سيرتهم قال في نهاية قصيدته التي يمدح فيها الشيخ علي القاسمي ومطلعها:

أَيَرْجِـــعُ لـــي قُـــرْبُ الحَبِيْـــبَ المُعَاهِـــدِ وتَجْدِيْـــدُ عَهْـــدِ الوَصْـــلِ بَـــيْنَ المَعَاهِـــدِ

قال في ختامها:

وصَـــلَّى عَلَيْـــكَ اللهُ مَـــا لاحَ بَـــارِقٌ تُجَاوِبُـــه فـــي الجَـــوِّ حَنَّـــةُ رَاعِـــدِ

ومـــا غَـــرَّدَتْ وَرْقَـــاءُ فـــي عـــذباتِهَا سُـــحَيْرَاً عَلَـــى غُصْـــنٍ مِـــنْ الأَيْـــكِ مَائِـــدِ

صـــلاةً تُبَـــارِي الـــرِّيْحَ مِسْـــكاً وَعَنْبَـــرَاً وتَعْلُـــو بُشَـــامَ النُّـــورِ فَـــوْقَ الفَرَاقِـــدِ

تَخُصُّـــكَ يـــا فَـــرْدَ الوُجُـــودِ وَتَنْثَنِـــي عُمُومَـــاً علـــى الصَّـــحْبِ الكِـــرَامِ المَوَالِـــدِ

عَتِيْـــقٍ وفَـــارُوْقٍ وعُثْمَـــانَ والفَتَـــى عَلِـــــــيٍّ وأَتْبَـــــــاعٍ أَمَاجِـــــــدِ

(اليماني ،1983، 83)

أما برعي السودان فقد تميز بديوانه في مدح الصحابة الكرام كما تميز الكُمَيْتُ بن زيد الأسدي بديوانه "الهاشميات" في مدح آل البيت، فإني لم أجد شاعراً من شعراء المديح سواء كان فصيحاً، أو عامياً، نظم في صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم، هذا الكم من المدائح، ومن خلال النماذج التي نمثل بها سنقف علي الصفات التي مدح بها البرعي الصحابة الكرام، رضي الله عنهم. والملاحظ أن أكثر صفة ركز عليها برعي السودان في مدحهم هي فضيلة الجهاد والاستشهاد كحال برعي اليمن، كيف لا وقد بذلوا النفس والدم والمال فداءاً لرسول الله وإحقاقاً للحق، وقد أفرد برعي السودان قصيدة كاملة مدح فيها شهداء بدر قال فيها:

وَبِأَهْلِ بَدْرٍ سِيَّمَا الشُّهَدَاءُ مَنْ هَـجَرُوا الدِّيَارَ لِنُصْرَةِ المُخْتَارِ

إلى أن قال:

عَنْهُمْ لَقَدْ رَضِيَ الإلهُ وَهُمْ رَضُوْا عَنْهُ فَبُـشْرَاهُمْ بِحُسْنِ قَـــرَارِ

يَكْفِيْ مَقَالُ اللهِ فِيْهِمْ اعْمَلُـــوْا فَلَكُمْ غَـفَـــرْتُ كَبَائِرَ الأَوْزَارِ

نَرْجُوْ بِهِـمْ نَصْـــرَاً عَلَىْ أَعْدَائِنَا وَبِجَاهِهِمْ نُحْمَى مِنْ الأَضْرَارِ

(وقيع الله 2002، 50)

قال الإمام الترمذي في الشمائل المحمدية:(أهل بدر هم المؤمنون الذين خرجوا من المدينة مع النبي صلى الله عليه وسلم. لاعتراض عير قريش القادمة من الشام.

ثم لما نجت العير تصدوا لقتال كفار قريش في وادي بدر. وكانوا ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً على عدة قوم طالوت. هؤلاء هم أهل بدر الفائزون بأكبر فضل، وأعظم شرف.)

(الجزائري 1398هـ، 238)

ومما قاله برعي السودان في جهاد الصحابة الكرام:

للهِ دَرُّ القَـــــــــــائِمِيْنَ بِـــــــــــأَمْرِهِ والحـــــافظينَ عُهُـــــودَهُمْ مَـــــا أَخْلَفُـــــوا

التَّـــــــارِكِيْنَ مُـــــــرَادَهُمْ لِمُـــــــرَادِهِ والعـــــاملينَ بقَولِـــــهِ وَبِـــــهِ اكْتَفُـــــوا

ولَهُـــــمْ جِهَـــــادٌ لَـــــيْسَ فِيْـــــهِ تَصَـــــنُّعٌ بَـــــلْ لَـــــيْسَ فِيْـــــهِ تَرَاجُـــــعٌ وَتَخَلُّـــــفُ

بالعاديـــــاتِ علـــــى العِـــــدَا غَـــــارُوا ضُـــــحَىً وعلـــــى الركـــــابِ عَشِـــــيَّةً قَـــــدْ أَوْجَفُـــــوا

أَرْوُوا الرَّمَـــــاحَ مِـــنْ الدِّمِـــا فَتَقَيَّـــــــأَتْ وِسُيُـــوْفُهُـــمْ مِنْهَـــــا تَعُـــــلُّ وَتَـــرْعَـــــــفُ

(وقيع الله 2002، 30)

مدح الخلفاء الراشدين:

سيدنا أبوبكر

وقد مدح برعي السودان الخلفاء الراشدين فأفرد لكل خليفة منهم قصيدة أوأكثر، إلى جانب ذكرهم في قصائد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، نمثل لها بما يلي:قال في مدح سيدنا أبي بكر:

جَزَى اللهُ رَفِيْقَه خَـيْرَ الجَزَا مَنْ كَانَ فِيْ جَوْفِ الدُّجَى أَوَّاهَا

وَبِغَـارِ ثَوْرٍ قَدْ فَدَاهُ بِنَفْسِـهِ ذَاتِ النُّهَى حُبَّاً جُعِلْتُ فِدَاهَا

وَرَأَى ثُقُوْبَاً فِيْهِ لَيْلاً قَدْ بَدَتْ سُوْدُ الثَّعَابِيْنُ الَّتِيْ يَخْشَاهَا

خَوْفَاً عَلَيْهِ لِحِكْمَـةٍ عَطْفِيَّةٍ إذْ أَنَّهُ لَـــمْ يَخْشَ إلاَّ اللهَ

طُوْبَى لِنَفْسٍ رَافَقَتْ ذَاتَ النَّبِيْ وَطَوَتْ عَلَىْ حُبِّ الرَّسُوْلِ حَشَاهَا

إلى أن قال:

فَغَدَا يُمَزِّقُ ثَوْبَهُ يَخْشُوا بِهِ تِلْكَ الثُّقُوْبَ وَبِالقَمِيْصِ حَشَاهَا

وَبَدَا لَهُ ثُقْبٌ وَلَمْ يَكُ عِنْدَهُ إلاَّ الَّتِيْ فَيْ حُـــبِّهِ أَفْنَاهَا

فَتَلافَى بِالقَدَمِ الشَّرِيْفَةِ سَدَّهُ طُوْبَى لَهَا بِالفَوْزِ يَا بُشْـرَاهَا

(وقيع الله 2002، 49)

برعي السودان ركز في مدحه لسيدنا أبي بكر، على شرف الهجرة، وأكرم به من شرف انفرد به سيدنا أبو بكر على سائر الصحابة الكرام، وقد خُصَّ أبو بكر بالصحبة، تكريماً له من الله ورسوله على حسن بلائه وإخلاصه لرسول الله، قال تعالى: (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)؛ التوبة: 40. لذلك كلما ذكره برعي السودان ذكر الهجرة وذكر فناءه في خدمة رسول الله ε قال في قصيدته "لذ بحمي المدينة":

نَاهِيْكَ قَدْ جَاءَ الرَّسُوْلُ مُهَاجِرَاً بِأَخِيْهِ ثَانِيْ اثْنَيْنِ نَحْوَ رُبَاهَا

(وقيع الله 2002، 57)

وقوله في قصيدة "بَشَكِّرْ" الأبطال":

وَالصَّدِّيْقُ أَبُــو بَكْرٍ رَفِيْقَ الغَــــــــارْ

ثَانِـــيْ اثْنَيْنِ وَارِدْ فَضْلُوا فِـــــيْ الأَخْبَارْ

سيدنا عمر:

الخليفة الثاني سيدنا عمر الذي كنَّاه رسول الله بالفاروق، قال عنه الإمام الشبلنجي قال:(فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم إسلامه الفاروق. وكان إسلامه رضي الله عنه بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب بثلاثة أيام سنة ستٍ على القول الراجح.) وقال: (هو أول من دعي بأمير المؤمنين. وأول من كتب التأريخ، وأول من أشار لأبي بكر بجمع القرآن، وأول من جمع الناس لصلاة التراويح، وأول من حمل الدرة لتأديب الناس، وأول من وضع الخراج ومَصَّرَ الأمصار وأستقضى القضاة ، وكان يوافقه القرآن وكان مُحَدَّثاً، لا يخشى في الله لومة لائم، وشهد مع رسول الله كل المشاهد، رضي الله عنه). (الشبلنجي، 1881، 29). وقد استلطف البرعي هذه الكنية فما أن ذَكَرَ سيدنا عمر إلا وكناه بالفاروق في أكثر مدائحه له فمن ذلك:

قال البرعي في قصيدة " الفاروق ":

الفَارُوقْ ذُوْ العَدَالَةْ السَّادَاتْ هُـــويْ

نِعْــمَ الشَّـــالُوا الـحَـــــــمَالَـةْ

إلى أن قال:

الفَارُوقْ رَيِّسْ سَلَفْنَا ألفَيْ فَضْلُوا مَا اخْتَلَفْنَا

ضَرْبُو اللِّيْ الكُفْرِ أَفْنَى خَلَّي الرُؤُوسْ رَاقْدَه رَفْنَهْ

(وقيع الله، 2000، 13)

وقال:

والفَارُوْقْ بَيْنَ البَاطَلْ والحَّقْ فَرَّقْ مُقَـــاتِلْ

جَاهَدْ غِيْرْ مُمَاطِلْ أَهْلَ الكَـــفْرِ قَاتِلْ

(وقيع الله، 2000، 18)

وقال:

والفَارُوْقْ عُـمَرْ أَقَامْ شَعَـــــايْرَ الـدِّيْنْ

يُوْمْ أَسْلَمْ بَـــــرَزْ شَهَرْ الآذَانْ فِيْ الحِيْنْ

(وقيع الله، 2000، 30)

وقال:

والفَارُوْقْ المَا بِيَخْشَى المَلامْ

(وقيع الله، 2000، 36)

وقال:

والفَارُوْقْ عُـمَرْ أَشْهَرْ لِدِيْنَ اللَّهْ

وقال:

وَالفَارُوْقْ عُـمَرْ زُكْنَ الشِّرِكْ هَدَّمْ

وقال:

وَالفَارُوْقْ عُـمَرْ لِلَّهِ سَامْ عُمْرُو

(وقيع الله، 2000، 21)

سيدنا عثمان:

الخليفة الثالث، سيدنا عثمان، فقد أفرد له البرعي قصيدتين مدحه فيهما. خلاف بقية المدائح التي ذكره فيها. والقصيدتان بعنوان " سيدي عثمان " و " ذو النورين " ومطلعهما:

الأولى: **اللَّيْلَه بَجِيْب قُولْ سَيِّدِيْ عُثْمَانْ**

مَـرْحَـــــبَا سَيْدِيْ التلا الأَثْمَانْ

(وقيع الله، 2000، 15)

والثانية: **ذوالنُّورِيْنْ وَالوَجَاهَهْ والسَّادَاتْ هُوْيْ**

نِعْمَ النَّالْ عِـــــزْ وَجَـــــاهَا

(وقيع الله، 2000، 17)

وقد ذكر البرعي في القصيدتين من أفضال سيدنا عثمان ما اشتهر به ، فوصفه البرعي بالصفات التالية:

أولاً: بالعدالة فقال:

بالخُلَفاء العُدُولْ صَدِّيْقْ عُمَرْ عُثْمَانْ

ثانياً: بصهره لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

جِيْبْ القُوْلْ عَلـَىْ صِهْرَ الحَبِيْبْ عُثْمَانْ

(وقيع الله، 2000، 19)

ثالثاً: ذكر كنيته التي كناه بها رسول الله فقال:

ذُوْ النُّوْرينْ مُلقَّبْ خُـــصَّ يَافَهْمَانْ

وقال:

ذُوْ النُّورينْ والوَجَاهَهْ والسَّـــادَاتْ هُوْيْ

(وقيع الله، 2000، 17)

أما عن خلقه، وكرمه، وإنفاقه، فما أجمل ما قاله البرعي في سيدنا عثمان، فقد أوفاه حقه، وأحسن القول، فقال:

عِنْدْ مَوْلاهُ عَظِيْمْ القَدْرِعَالِيْ الشَّأنْ

لا عَابْ لا شَتَمْ إنْسَانْ قَطْ لا شَانْ

كَمْ جَهَّزْ جُيُوْشْ للهِ يَا دَهْـشَانْ

كَمْ أَطْعَمْ فَقِيْر كَمْ كَمْ سَقَى عَطْشَانْ

نَاطِقْ بِالصَّوَابْ وَالحَقِّ وَالمَعْنـَى

مِنْ جُوْدُو انْقَسَمْ جُوْدْ الأمِيْرْ مَعْنَا

فَيْ الجَنَّاتِ مَعَاهُو رَبِّيْ يَجْمَعْنَـــا

(وقيع الله، 2000، 17)

وعن تميزه بشدة الحياء مما جعل الملائكة تستحي منه قال البرعي في ذلك:

لَيْ مَيِّتْ قُلُوبْ المُؤْمِنِينْ أَحْيَا

يُقْرِيْهِ السَّـــلامْ مِنْ العَلِيْ الوَحْيَا

مِنْ وَجْهُو المَلائْكَةْ تَأتِيْ مُسْتَحْيَهْ

فِيْ قُـــوْم النَّبِيْ زَيَّ الرَّسُولْ يَحْيَىْ

(وقيع الله، 2000، 15)

وعن تجهيزه لجيش العسرة قال البرعي:

ذُوْ النُّورينْ خَيْروا وَاحِدْ جَهَّزْ جَيْشَ العُسْرَهْ نَاجِدْ

قَانِتْ قَايِمْ وَسَـــاجِدْ جُنْحَ اللَّيْلِ فِيْ المَسَاجِدْ

إلى جانب إنفاقه رضي الله عنه كان قانتاً قواماً؛ روى أنه يختم القرآن في ليلة واحدة؛ قال برعي السودان:

قَـــــوَّامَ اللَّيَالِيْ وَتَالِيَ الأثْمَـــــــانْ

(وقيع الله، 2000، 17)

سيدنا علي:

الخليفة الرابع سيدنا علي كرم الله وجهه فقد مدحه برعي السودان بصفة البسالة والقوة وذلك في قصيدتين الأولى بعنوان " الليث علي " والثانية بعنوان "سيدي علي" تميزت الأولى بتكرار الرقم عشرة وتميزت الثانية بتكرار الاسم "علي" والتكرار عند نقاد الأدب يعد أحيانا من عيوب الشعر إلا أنه يستملح ويعد من محاسن الشعر، إن كان تأكيداً أو مرادفةً أو مبالغة في المدح أو جناساً ومع أن التكرار في القصيدتين كان متواليا في كل بيت إلا أنه كان منسجماً مع الإيقاع ينساب لطيفاً حلواً يحرك النفس طرباً قال في القصيدة الأولى حيث قال:

بتذكر الأحـرار بمدح باب مدينة العلم والأسرار

النصر الشريعة الليث علي الكرار

إلى أن قال:

مَولاي بِالمَـلايْكَةْ الجُمْلَـةْ والعَشَرَةْ

والمِيَّةْ المَعَـاهَا أَرْبَعَـة وَعَشَـرَةْ

والسُّـــوْرَةْ التيْ كَلِمَاتُهَا عَشَـــرَةْ

رَكْعَاتَ الفَـرَائِضْ السَّبْعَـةْ وَالعَشَرَةْ

رَمَضَانْ ثُمَّ لِيـلةَ القَدْرِ فِـي العَشَرَةْ

نَدْعُوْكْ بِـيْ لَيَالِـي الحَجَّةِ العَشَرَةْ

بالحَسَنَةْ الَّتِـيْ مَصْحُوْبَةْ بِيْ عَشَرَةْ

بالرُّسِلِ الثَمَانْيَـةْ، السَّبْعَةْ قَـلْ عَشَرَةْ

والمُبَشّـَـــرِيْنْ بِالجَنَّةِ العَشرَةْ

أَرْعَى أَحِبَّتِي لِـي اليَسكُنُو أُمْ عُـشَرَةْ

يَمْسِكُوا فِي عُـرَى الإِسَـلامِ بِالعَشَرَةْ

الكُلْ لَي يَقَوْلْ مَرْحَبْ حَبَابْ عَشـرَةْ

أَدْخِلْنِيْ فِيْ حِمَاك وَأَبْقَى عَلَ عَشَـرَةْ

(وقيع الله، 2000، 17)

وقال في القصيدة الثانية:

مَـرَقْ فَـارْسَ الشَّـرِقْ وَالغَـرْبْ

عَلَـيْ سَيْـدِيْ المَرْضِيْ عِنْدَ الرَّبْ

كَرِيْمْ نَدْعُوكْ يَا عَلِيمْ يَارَبْ

فَرِّجْ عَنِّيْ كُلَّ هَمْ وَكُرَبْ

بِحَقْ نَبْي كَانَ قَابْ وَأقْرَبْ

وَبِالأصْحَاب لِيْكَ نَتْقَرَّبْ

عَلِيْ يَا عَلِي يَا أَبَا الحَسَنَيْنْ

عَلِيْ الرَّاجَحْ وَزْنُو بِالكَوْنَيْنْ

نَظِيْرْ ضَرْبُوْ مَا رَأَتْ عَيْنِينْ

وَمَا سَمِعَتْ مِثْلَهُ الأُذُنَيْنْ

عَلِيْ البَحْرُو فِيْ الكَرَمْ غِيْرْ قَيْفْ

عَلِيْ البِطْعِمْ فِيْ الشِّتَاءْ وَالصِّيْفْ

عَلِيْ اللازْمَ الصِّيَامْ فِيْ الصَّيْفْ

قِيامَ اللَّيْالي وَالضَّرِبْ بِالسَّيْفْ

عَلِيْ الكَسَّرْ لِلْبِيَعْ هَدَّمْ

عَلِيْ الأَسَّفْ لِلْيَهُوْدْ نَدَّمْ

علي الأَهْلَكْ لِلْعُلُوْجْ أَعْدَمْ

إِلَيْ أَنْ وَصَلَ الرِّكَابْ الدَّمْ

عَلِيْ عِنْد الرَّبْ عَظِيْمْ أَجْرُو

عَلِيْ الرَّبَاهُو النَّبِيْ فِيْ حِجْرُو

عَلِيْ أَلفِيْ الحَـــــرِبْ حَارْ زَجْرُو

خَلَّىَ الفِرْسَـــــــانْ كَالنَّعَامْ يَجْرُو

(وقيع الله، 2000، 20)

مع أن البرعي قد ذكر الاسم "علي" إحدى وعشرين مرة إلا أنه كان متناغماً طَرِباً يشوق السامع ويشنف الآذان. وقد شمل برعي السودان الصحابة في عدد من القصائد، من ذلك قوله:

الصحابه هم نصروا الصطفى أرضوا ربهم بيهم مرحبا

(وقيع الله، 2000، 29)

فخلاصة القول في مدح البرعيين لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهما ركزا على الجهاد والعبادة والتقوى، فالإنفاق فالخلق الكريم. رضي الله عنهم اجمعين.

المبحث الثاني: مدح الأولياء وشيوخ الصوفية

معنى ولي في اللغة والاصطلاح:

جاء في القرآن الكريم لفظ "وليُّ" في عدة مواضع قال تعالى:(ألا إنَّ أولياءَ اللهِ لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، الذينَ آمنواْ وكانوا يتقونَ ، لهمْ البشرى في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ ، لا تبديل لكلماتِ اللهِ ذلك هو الفوزُ العظيمُ) يونس: 62،63،64. وقال تعالى: (اللهُ وليُّ الذينَ آمنوا يخْرِجُهُمْ من الظلماتِ إلى النورِ)، البقرة: 257. وقال تعالى: (أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)، البقرة: 286. وورد في دائرة المعارف الإسلامية : أن كلمة "ولي" تدل على معنى القرب؛ فولي كل شيء هو القريب منه والقرب من الله بالمكانة والجهة محال فولي الله ما كان قريباً منه بالصفة التي وصفها الله ، أي الإيمان والتقوى. وذكر في دائرة المعارف الإسلامية إن العبد إذا كان قريبا من حضرة الله بسبب كثرة طاعاته وكثرة إخلاصه ، وكان الرب قريباً منه برحمته وفضله وإحسانه فهناك حصلت الولاية). (دائرة المعارف الإسلامية ، 1400م ص285.)

ويعرف علي بن محمد الجرجاني المتوفى (816هـ) الولي بقوله: (الولي: فعيل بمعنى الفاعل ، وهو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان ، أو بمعنى المفعول ، فهو من يتوالى عليه إحسان الله وأفضاله ، والولي هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن، المواظِب على الطاعات المجتنب للمعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات) (الجورجاني، 337). أما الولاية فهي: (قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه والولاية في الشرع تنفيذ القول على الغير شاء الغير أم أبى) (الجورجاني، 337). وقد اصطلح الصوفية على هذا المعنى (وَلِيٌّ) فنسبوه إلى شيوخهم من باب حسن الظن فيما يرونه من استقامة الشيخ وتفانيه في طاعة الله تعالى، يسابق في الخيرات يحمل الكَلَّ عن الضعيف، ويقضي حاجة الناس ويعلم القرآن، ويطعم الطعام، ويصل الرحم، ويآخي بين الناس... إلخ. فاتصف بذلك بصفات موالاة أمر الله وهو القرب والدنو أضف إلى ذلك الاعتقاد السليم. ونجد الذين مدحهم البرعيان جميعهم من شيوخ الصوفية ممن تتلمذوا عندهم أو نهجوا عليهم منهج الطريقة الصوفية أو كان لهم فضل على الشيخين متصلا أو منفصلا وقد والى كل منهم سند الخرقة الصوفية الذي تنقل عبر مشايخهم إلى شيخه المباشر وممده بالإرشاد والتربية. ويمكن لنا حصر ممدوحي برعي اليمن وعدد القصائد التي مدحهم بها ، أما برعي السودان فلا يمكن حصر ممدوحيه ولا قصائد مدحه في مشائخ الطريقة الصوفية مع أنني سعيت لذلك ولكن كثرة شعره تعجزعن الحصر.

أسماء ممدوحي برعي اليمن:

قصائد برعي اليمن التي مدح فيها شيوخه عددها ثمانية وعشرون قصيدة نمثل لبعضها ، فقد مدح شيخه المباشر وهو الشيخ عمر بن محمد العرابي ، ومدح كلا من الشيخ محمد بن أبو بكر الحكمي ، والشيخ محمد بن حسين البجلي ، وشيوخ بني مكدش ، والشيخ الشريف علي الأهدل ، والشيخ يحيى بن أحمد الأهدل ، والشيخ أحمد بن محمد الأهدل ، والشيخ محمد بن عمر النهاري ، والشيخ أحمد بن عبد الله بن عمارة ، والشيخ عبد الله بن أبي بكر صاحب ترغم ، والشيخ محمد بن إبراهيم الحكمي ، والشيخ احمد بن أبوبكر الرداد ، والشيخ عثمان بن أحمد الأهدل ، والشيخ أحمد بن الأهدل ، والشيخ أحمد بن إسماعيل الزجدي ، والشيخ أحمد بن أبو بكر القرشي ، والشيخ محمد بن علي يغنم ، والشيخ المعلم عبد الله بن عمر ، والشيخ عمر بن محمد العرابي ، هؤلاء هم ممدوحو برعي اليمن.

الصفات التي مدح بها البرعيان شيوخهم:

الصفات التي مدح بها البرعيان شيوخهم فهي صفات الفضيلة وكمال، الخُلق الكريم، وخوارق العادة من كرامات وفتوحات، أضف إلى ذلك معتقد الصوفية من توسل وتبرك وأدب وما إليه، ويمكن لنا أن نمثل لبعض مدائح البرعي اليماني لشيوخه بما يلي:

قال في مدح مشائخ بني مكدش:

سَـــامَرْتَ لَيْلَـــكَ بـــالغويرِ فَطَـــالا ومَكَّثْـــتَ وحْـــدَكَ تنـــدبُ الأطْـــلالا

وعَجِبْـــتَ مِـــنْ دَمْـــعٍ يَصُـــوبُ وخَلْفُـــهُ كَبَـــدٌ تَـــذُوبُ وزفـــرةٌ تَتَـــوالى

وأَمَـــرْتَ قَلْبَـــكَ أنْ يَقِـــرَّ فَمَـــا ارْعَـــوى وَنَهَيْـــتَ جَفْنَـــكْ أَنْ يَسِـــيلَ فَسَـــالا

وزَعَمْـــتَ أنَّـــكَ فـــي الهَـــوَى مُســـتنجدٌ صـــبراً فكـــانَ الصـــبرُ مِنْـــكَ مُحَـــالا

لله مَـــنْ تَهْفـــو نـــوازعُ قلْبِـــهِ إنْ بـــارقٌ بـــالأبرقينِ تَـــلالا

تبكيـــه ســـاجعةُ الرُّبَـــا إنْ غَـــرَّدَتْ وتهـــيجُ داءً فـــي حشـــاهُ عُضَـــالا

(اليماني، 1983، 166)

وقال أيضا في مدح الشيخ الشريف علي الأهدل:

هــبَّ النَّســيمُ فماسَــتْ منــه أشْــجارُ وغــرَّدَتْ فــي بُشَــامِ الســفحِ أطيــارُ
وضَــاحَكَ البــرقُ أزهــارَ الرِّيــاضِ فَمِــنْ فَضَــا مــذْهَبها نُــورٌ وأنــوارُ
فَهَزَّنِــي الشُّــوقُ لا دَمْعــي يَكُــفُّ ولا قلبــي إذا رُمــتُ منــه الصــبرَ صَــبَّارُ
وطــالَ عهــدي بــدارٍ كُنــتُ ســاكِنها قَــدْ حــالَ مِــنْ دُونِهــا نجــد وأغْــوارُ
فليْــتَ شِــعري هَــلْ الأيَّــامُ تُســعدني بوصــلِ قــومٍ نَــأَتْ بِــيْ عــنهمُ الــدَّارُ
أَحِــنُّ وجــداً وتــذْكَاراً لَهُــمْ وَبِهِــمْ والحُــبُّ أَقْتُلُــهُ وَجْــدٌ وتِــذكارُ

(اليماني، 1983، 176)

وقال أيضا في مدح الشيخ محمد النهاري:

رِفَــاقِي الظَّــاعِنِيْنَ مَتَــى الــوُرُوْدُ وذَيــاكَ العــذيبُ وذا زرودُ
فعُوجــوا بــي علــى آثــارِ ليلــى فمــا يــدري الغريــبُ متــى يعــودُ
وزوروا شِــعْبَها فعلــى فُــؤادي وقلبــي مــن نســيمته بــرودُ
رفــاقي الظــاعنين ترفَّقــوا بــي فقلبــي فــي هــوى ليلــى عنيــدُ
أعيــدوا لــي الحــديثَ بــذكرِ لَيْلَــى أعيــدُوه فَــدَيتُكُمُ أعِيــدُوا

(اليماني، 1983، 185)

وقال في مدح الشيخ أحمد بن عمارة:

أهــاب ســحيراً بــالفراق مهيــب فلبَّــاه وجــداً فــي الحشــا ولهيــبُ
وحقَــقَ ظَنِّــي بالرحيــلِ مــودعٌ مدامِعُــهُ فــي وجنتيــه تَصُــوبُ
فمــا كــذبتني رمــزةٌ معنويــة أشــارَ بهــا ريُّ البنــانِ خضــيبُ
يــردُّ بطرفيــه الســلامَ وحولــه رقيــبٌ ومــن حــولَ الرقيــبِ رقيــبُ

حَمَتْـــهُ عـــن التوديـــعِ زُرْقُ أَسِـــنَّةٍ تَكَـــادُ تُـــذيب الصـــخرَ وهـــو صَـــليبُ

فمِـــنْ أيـــنَ يصفـــو العيـــشُ بعَـــد أحبـــةٍ ركـــائبهم بيـــن الشعـــابِ شعـــوبُ

قال حسب الرسول حسن عبد القادر: (ويبدو من أشعاره أنه كان يمدحهم رغبة في العطاء ليكسب رزقا) (حسب الرسول ،2005 ،77). مثل قوله يمدح الشيخ **عبد الله بن أبي بكر صاحب ترغم**:

مـــا زلـــتُ أشـــكرُهُ نَـــداه وكُلَّمـــا طالـــتْ يـــداهُ علـــيَّ طـــالَ لِسَـــانِي

مـــولايَ جئتُـــكَ والخطـــوبُ عـــوابسٌ والـــدهرُ يَصْـــرفُ نَابَـــه لِهَـــوانِ

فتـــولَّني وأقِـــلْ بجُـــودِكَ عَثْرَتـــي وأقِـــلْ ثـــوبَ نَـــوبِ الحـــدثانِ

وانظـــرْ إلـــيَّ بِعَـــيْنِ لُطْفِـــكَ نَظْـــرَةً أَحْيِـــي بهـــا أَمَلـــي وأَصْـــلِحْ شَـــأَنِي

وأَمُـــدنِّي بِنَـــداكَ وامسَـــحْ بـــالغِنَى فَقْـــريْ وأرْغِـــمْ أنـــفَ مَـــنْ يَشْـــنَانِي

فعســـاكَ إنْ أكْرَمْتنـــي أَحْيَيْتَنـــي وأَمَـــتَّ رَبَّ فُلانَـــةٍ وفُـــلانِ

واسْـــلَمْ ودُمْ جَـــبَلاً نَلُـــوذُ بِظِلِّـــهِ وغِيـــاثَ قَـــاصٍ فـــي الأنَـــامِ وَدَانِـــيْ

(اليماني، 1983، 192)

وقوله في قصيدة أخرى يمدح بها شيخه أحمد بن محمد الأهدل:

هـــلْ مِنْـــكَ لـــي يـــا ابْـــنَ الأُهَيْـــدِلِ عَطَفَـــةٌ تُغْنِـــي بهـــا فَقْـــرِي وتُصْـــلِحُ شَـــأنِي

وتُقيلنـــي مِـــنْ عَثْرَتـــي وتَرِيحُنـــي بـــالجُودِ مِـــنْ هَمِّـــي وَمِـــنْ أَحْزَانِـــي

فلقـــد قَصَـــدتكَ مادحـــاً لـــك لائِـــذاً بـــك مســـتجيراً مِـــنْ عِنَـــادِ زَمَـــانِي

فقِنِـــيْ بجاهِـــكَ مِـــنْ هُمـــومُ الفَقْـــرِ دُنيـــا وفـــي الأُخـــرى مِـــنْ النِّيْـــرَانِ

(اليماني، 1983، 214)

وقال يمدح الشيخ أحمد بن أبي بكر:

وكَـــمْ رِجَـــالٍ كُثْيـــرٍ كُنـــتُ آملهُـــمُ ولـــمْ يَـــزَلْ لابـــسَ الآمـــالِ عُرْيانَـــا

لا يـــورقُ العُـــودُ مِـــنْ رَعْـــدٍ بـــلا مطـــرٍ إذاً يـــروي ســـرابُ القـــاعِ ظَمْآنـــا

وأنْـــتَ مـــالي ومـــأمولي ومعتمـــدي ومـــا زالَ حوضُـــكَ لـــي بـــالجودِ ملآنـــا

حَاشَـــا جلالُـــكِ بـــل حاَشَـــا نَوالُـــكَ أنْ أكـــونَ فـــي بحـــرِكِ الفيَّـــاضِ عَطْشَـــانَا

دَعْ المَقَـــــادِيرَ تَطْـــــويني وتَنْشُـــــرني حتـــــى تُبَلِّغَنِـــــي معرُوفَـــــكَ الآنـــــا

فمـــا نَزَلْـــتُ علـــى مـــولىً سِـــوَاكَ ولا أرجـــــو وراءَكَ بعـــــدَ اللهِ إنْسَـــــانَا

وانظـــــرْ بعـــــينٍ مِنْـــــكَ مُشْـــــفِقَةٍ وانعـــشْ بعَـزْمِـــكَ أهـــلاً لي وجِيْـرانَـــا

(اليماني، 1983، 216)

فإن كان البرعي اليماني يشكو فقره وفاقته لشيوخه ويسألهم النوال والعطاء، فهذا ليس عيباً، لأن شيخ الطريقة الصوفية في مقام الوالد، وجاز أن يكون سؤاله هو طلب الدعاء لإصلاح الحال والفقر لا بقصد عين العطاء، ودليل ما قلت هو أنه لم يمدح حاكما واحداً من حكام دولة بني رسول، فإن كان قصده المال والثراء فالمال لدى السلطان أوفر، فبقصيدة واحدة يقضي حاجته.

ومعرفتي ببرعي السودان أنه كان ميسورا وكان يكسب من عمل يده إلى جانب ما يهدى إليه من أحبابه وتلاميذه، حيث كان يملك معصرة تعمل في تعبئة الزيوت، ويملك مشاريع واسعة بجنوب كردفان يعمل في إدارتها أحد أبنائه ، ويملك شاحنات ضخمة تعينه في عمل المعصرة والمشاريع، والواضح من شعره في مدحه لشيوخه، أنه ما سأل أحداً عطاءاً ولا إعانة لسد رمق أو فاقة، ومعظم توسلاته بشيوخه يقصد بها الإعانة على أمر الآخرة أو الاستشفاء من مرض ولنا أن نمثل لما ذكرنا.

ممدوحي برعي السودان:

فنبدأ بمدحه لشيخه ووالده الشيخ محمد وقيع الله حيث مدحه في شعره العامي وشعره الفصيح ومما قاله في شعره الفصيح:

أكـــــرمْ بأُسْـــــتاذٍ يحـــــقُّ مَـــــزَارُهُ أرأيْـــــتَ كيْـــــفَ قَمِيْصُـــــهُ وإزارُهُ

أَمْ كيْـــــفَ هيئتُـــــهُ ومِشْـــــيتُهُ عَلَـــــى ظهـــــرِ الثَّـــــرَى هَونـــــاً ونِعْـــــمَ قَـــــرَارُهُ

كيْـــــفَ التواضـــــعُ منـــــه كيْـــــفَ حَديثُـــــهُ كيْـــــفَ الجلـــــوسُ وحَوْلَـــــهُ زُوَّارُهُ

أَرَأَيْـــــتَ كَيْـــــفَ دَقِيْقُـــــهُ وعجينُـــــهُ وإِدَامُـــــهُ أَمْ كَيْـــــفَ تُوقـــــدُ نَـــــارُهُ

فـــــي كُـــــلِّ بيـــــتٍ منـــــه أَعْظَـــــمُ نِعْمَـــــةٍ مِـــــنْ نَهْلِهَـــــا اقْتَـــــرَفَ البَعِيْـــــدُ وَجَـــــارُهُ

هـــــو شَـــــيْخٌ نَجْـــــلُ الوَقِيْـــــعَ مُحَمَّـــــدٌ بحـــــرُ الحقيقـــــةِ مِـــــنْ عَلَـــــى مِقْـــــدَارُهُ

مُلِئَـــــتْ عَلَـــــى طُـــــوْلِ المَـــــدَى أَوْقَاتُـــــهُ بالـــــذِّكْرِ يَشْـــــهَدُ لَيْلُـــــهُ وَنِهَـــــارُهُ

خُلِعَـــــتْ عليْـــــهِ خَلائِـــــعُ الإخـــــلاصِ فـــــي الأعمـــــالِ فَهْـــــيَ شِـــــعَارُهُ ودِثَـــــارُهُ

طَلَعَـــــتْ لأصْـــــحَابِ السُـــــلُوكِ شُمُوسُـــــهُ وَبَـــــدَتْ علـــــى أُفُـــــقِ الهُـــــدَى أَقْمَـــــارُهُ

ظَهَـــــرَتْ علـــــى الأَكْـــــوَانِ آيَـــــةُ مَجْـــــدِهِ وَسَـــــمَا عَلَـــــى سَـــــمَكِ السَّـــــمَاءِ مَنَـــــارُهُ

غَـــــوثُ يَعُـــــمُّ الكـــــونَ هاطِـــــلُ مُزْنِـــــهِ بحْـــــرٌ عَمِيْـــــقٌ لا يُحَـــــدُّ قَـــــرَارُهُ

يَسَـــــعُ الأرَامِـــــلَ واليَتَـــــامَى بَيْتُـــــهُ وتَضُـــــمُّ أَشْـــــتَاتَ الخَلائِـــــقِ دَارُهُ

شَـــــاعَتْ وُلايَتُـــــهُ وَبَـــــانَ صَـــــلاحُهُ بَـــــيْنَ الـــــوَرَى لا يَنْبَغِـــــي إنْكَـــــارُهُ

(عبد الرحيم وقيع الله، 2002، 194)

وقال : مدح والده أيضاً :

حَيَاتُـــكَ إصْـــلاحٌ بهـــا الـــدَّهْرُ مُعْجَـــبُ مُؤَرَّخَـــةٌ بـــاليُمْنِ والخَيْـــرِ تُكْتَـــبُ

يَسُـــحُّ بهـــا مُـــزْنُ الرَّخَـــاءِ ويَسْـــتَوي بِسَـــاحَتِها زَرْعُ المُـــرُوْءَةِ يَخْصُـــبُ

فَبَيْتُـــكَ محْجُـــوجٌ تَوالَـــتْ وُفُـــودُهُ وأَعْـــدَاؤُكَ الحَسَّـــادِ فـــي الأَرْضِ نَقَّبُـــوا

أيـــا ابْـــنَ وَقِيْـــعَ اللهِ فَيْضُـــكَ شَـــامِلٌ وَسُـــحْبُكَ فـــي كُـــلِّ الأمَـــاكِنِ صُـــيَّبُ

فلِلْفَـــتْحِ والإرْشَـــادِ أَنْـــتِ وَسِـــيْلَةٌ كَـــذَا لِقَضَـــا الحَاجَـــاتِ أَنْـــتَ مُجَـــرَّبُ

وبَابُـــكَ مَفَتُـــوحٌ وَثَغْـــرُكَ بَاسِـــمٌ ومَالُـــكَ مَبْـــذُولٌ وَقُولُـــكَ أَطْيَـــبُ

وسُـــوحُكَ مَـــأْوَى اللاجِئِـــيْنَ إذا أَتَـــوا تَكَـــادُ تَقُـــولَ الـــدَّارُ أَهْـــلاً وَمَرْحَـــبُ

فَلَـــمْ تَحْتَجِـــبْ مَتَـــى جَـــاءَ فَـــوجُهُم ويَحْتَجِـــبُ المُسْـــري البَخِيْـــلُ المُخَيَّـــبُ

ويرجـــعُ كُـــلٌّ مِـــنْهُمُ وهُـــوَ شَـــاكِرٌ وَكَفَّيْـــه بالإعجْـــابِ طَـــورَاً يُقَلِّـــبُ

(عبد الرحيم وقيع الله، 2002، 193)

وقال في شعره العامي:

الشَّابِبْ أَمِيْنْ مَا خَـــانْ كَرَمُو وَجُوْدُو مَا وَسْخَانْ

بَصِيْرتُو الجَّالْيَةْ غِيْرْ دُخَّانْ بِتَفْلُو الجِنْ يَطِيْرْ دُخَّانْ

صَلَحْ بالجَاثْيَةْ والدُّخَـــانْ لأَهْلِ الخَمْرَه والدُخَّـــانْ

مَذْكُورْ اسْمُو فِيْ كُلِّ مَكَانْ شَهِيْرْ فِيْ الأَرْبَعَةْ الأَرْكَانْ

(عبد الرحيم وقيع الله، 2002، 319)

ثم يمدح برعي السودان شيوخ أبيه وإخوان أبيه في الطريق وهي السلسلة والسند المتصل لطريقته السمانية وقدأخذ والده الطريقة السمانية من الشيخ عمر رجل الكريدة نجد برعي السودان يمدحه، ويمدح أبناءه وبلدته ، ومن ذلك قوله :

نِعْمَ الدَّارُمْ زَارَ السّوْحْ وَدَخَلْ دَارُمْ عُمَرْ وَبِرِيْرْ

يَـــا تَـــرْبَالُـمْ أَعْـــني زِيَارْةَ الرَّبَالُمْ

كَالقُـبَّالُـــم صَلَحَ القُـوْمْ وَيَسُـــــرْ بَالُمْ

غَيّرْ حَالُـــــــمُ بِدِّرْ وَامْسِكْ مُرْحَـالُم

يُعْجِـــــبْ حَالُم لِلنَّاسْ يُنْقِذْ أَوْحَالُم

(عبد الرحيم حاج أحمد، 2000، 13)

ثم يمدح شيوخ أبيه في سلسلتهم وهي ، أخذه عن أبيه للطريقة السمانية وأخّذ أبيه عن الشيخ عمر وأخذ الشيخ عمر عن الشيخ برير وأخذ الشيخ برير عن الشيخ التوم وأخذ الشيخ التوم عن الشيخ أحمد الطيب بن البشير وأخذ الشيخ أحمد الطيب عن الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان الذي تنسب إليه الطريقة ثم يتصاعد السند مرورا بالشيخ عبد القادر الجيلاني إلى الشيخ الجنيد) . ونمثل من أشعاره في مدح شيوخه حسب السلسلة . قال في مدح الشيخ عمر شيخ أبيه :

قَلْبِيْ انْعَمَرْ بِزِيَارَةْ أَبُوْنَا الشَّيْخْ عُمَرْ فِيْ كُلِّ عَامْ

إلى أن قال:

سَـاعْةَ السَّحَـــــرْ زُوْرَ الكِرِيْدَةْ وَرَا البَـحَرْ

القَـايْـمَ الدُّجَـــــرْ والْفِيْهُـوْ أَنْكَرْ قُوْلُوْ جَـرْ

وقال :

الـرَشِيْدْ يَا زَائِـــرِينْ عُمَـــرْ دَلِيْـلْ الحَائِرِيْنْ

الطَّـرِيْقْ فِيْهُوْ الأَجُـرْ لِلْيِـخْدُمَ اللالُـوْبْ يَجُـرْ

طَال شَـوْقِيْ لِلْقَامُوْ الدُّجُرْ يَتْكَابَدُو اللّيْلْ لِلْفَجُرْ

(عبد الرحيم وقيع الله، 2002، 222)

وبما أن الشيخ عمر قد أخذ الطريقة عن الشيخ التوم قال البرعي مادحا له:

حَـاوِيْ نَـــــوَادِرْ شَرْعي وِصُوْفِيْ مُرْشِدْ وَنَادِرْ

سَيْـــــدِيْ التُّـــــومْ

شَـيْخَ اليعْقُوْبَابْ النَّادِرْ الجَامِـــعْ فُنُونْ وَنَوَادِرْ

وَارْثَ الجَيْلِيْ عَبْدَ القَـادِرْ قَـــوْمَاكْ لِزِيَارْتُوْ نَبَادِرْ

رَيِّسْ دَايْرَةَ الصُّـــوفِيَّةْ مَرْكَزْ مَشْـــرَبَ الأَلْفِيَّةْ

نَارُو الحَيَّةْ مَـــا مَطْفِيَّةْ قَبْلَ الشَّالْ جَابِبْ كُوْفِيَّةْ

(عبد الرحيم وقيع الله، 2002، 223)

ثم تابع مدحه تصاعدياً في سلسلة السمانية فمدح الشيخ أحمد الطيب بن البشير فقال:

عَنِ الطَّيِّبِ القَوْثِ المُبَارَكِ نَهْجِيْ وَمَشورَتَيْ فِيْ النَّاسِ أَنْ يَتَطَيَّبُوا

لِيَحْيُوا بِهِ بَعْـــدَ المَمَاتِ وَيَرتَعُوا بِرَوْضَتِهِ ذَاتِ البَـــهَاءِ وَيَجْتَبُوا

إِمَامٌ لَـــهُ بِاللهِ عِـــزٌّ وَمَفْخَرٌ وَتَأْيِيْدٌ وَجَـــــاهٌ وَمَنْصـــــبُ

إِذَا اتَّصَلَتْ كَفُّ المُرِيْدِ بِكَفِّهِ عَلَىْ بَيْعَةِ الرِّضَوانِ فِيْ الحَالِ يُجْذَبُ

وَيَنْظُـرُ فِيْ أُمِّ الكِتَابِ وَيَهْتَدِيْ بِرُؤْيَتِهِ مَنْ كَانَ لِلْمَـــالِ يَنْهَبُ

ومَـــنْ زَارَهُ لِلَّهِ ثُـــمَّ أَحَـــبَّهُ بِصـــدْقٍ لَهُ تَـــاجُ الوَلايَةِ يُوْهَبُ

يَمُوْتُ عَلَىَ حُسْـنِ الخِتَامِ مُكَرَّماً سَعِيْدَاً وَذُو الإِنْكَارِ فِيْ الحَالِ يُعْطَبُ

هُوَ الكَنْزُ وِالإِكْسِيْرُ وَالمَهْيَعُ الـذِيْ زِيَارَتُهُ بَعْـــــدَ المَـدِيْنَةِ تُنْدَبُ

تَبَنَّاهُ خَيْرُ المُرْسَلـــيْنَ بِحَضْرَةٍ وَقَـــالَ إِبْرَاهِيْمُ أَبِيْ لَـهُ أَبُ

وَقَدْ تَفَــلَ المُخْتَارُ فِيْ فِيْهِ تَفْلَةً فَنَالَ بِهَا عِلْماً عَنِ الغَيْرِيُحْجَبُ

(عبد الرحيم وقيع الله، 2002، 111)

كذلك مدح الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان فقال :

أَجْلِ النُّهى بِمَنَاقِبِ السَّــمَانِ شَيْخِ الطَّرِيْقَةِ مَعْـدَنِ العِرْفَانِ

وَارْتَعْ بِرَوْضَةِ أُنْسِهِ مُسْتَحْضِرَاً مَا قَالَهُ فِيْ السِّــرِّ وَالإِعْلانِ

هُوَ قُطْبُ أَهْلِ اللهِ فِيْ حَضَرَاتِهِمْ وَمُدِيْرُ كَأْسِ شَرَابِ أَهْلِ الحَانِ

كالشَّمْسِ وَالبَدْرِ المُنِيْرِ طَرِيْقُهُ يَهْـدِيْ الوَرَى كالنَّجـمِ لِلْحَيْرَانِ

بَحْــرٌ يَمُوْجُ بِسِرِّ أَسْرَارٍ بِهَا يَرْوِي فُــؤَادَ مُـرِيْدَهُ الظَّمْآنِ

غَيْثٌ عَلَىْ أَرْضِ القُلُوْبِ تَهَطَّلَتْ سُــحْبُ الرَّشَادِ بِوَابِلٍ هَتَّانِ

لِلَّهِ دَرُّ مُسَــــمِّنٍ لِقُلُوْبِ مَنْ سَمُــوا بِهِ فَدَعَوْه بِالسَّمَّانِ

وَبِنَظْرَةٍ لِلْألْفِ يُصْلِحُ يَا لَــهُ مِنْ كَامِلٍ يَسْمُوْ عَلَىْ الدَبْرَانِ

يَكْــفِيْكَ أَنَّ مُرِيْدَهُ حَقَّاً وَلَوْ عَنْدَ المَمَاتِ يَفُوْزُ بِالرِّضْوَانِ

(عبد الرحيم وقيع الله، 2002، 112)

ثم مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني فقال :

أَقِمْ وَانْتَظِمْ فِيْ سِلْكِ طَائِفَةِ الجَيْلِيْ عِلَىْ العَهْدِ وَالمِيْثَاقِ وَالوَزْنِ وَالكَيْلِ

وَشَــــمِّرْ بِحَزْمٍ ثُمَّ عَزْمٍ بِدَرْبِهِ لِتُحْــظَىْ بِأَنْوَاعِ المَوَاهِبِ وَالنَّيْلِ

بِتَوْبٍ نَصُوْحٍ ثُمَّ إِصْلاحِ مَا مَضَىْ كَذَاكَ اعْتِصَامٍ وَالتَّبَرُّؤ مِنْ حَــوْلِ

بِإِخْلاصِ أَعْمَالٍ لِتَدْخُلَ حَضْرَةٍ بِهَا المُصْطَفَى وَالعَارِفُ الوَاصِلُ الجَيْلِيْ

هُوَ القُطْبُ وَالغَوْثُ الكَبِيْرُ هُوِ الَّذِيْ أَفاضَ عَلَىْ الأَكْوَانِ كَالبَحْرِ وَالسَّيْلِ

شَرِيْفٌ وَلِـــــيٌّ كَامِلٌ وِمُحَدِّثٌ فَقِيْهٌ عَلِيْمُ بِالفَرَائِـــضِ وَالنَّفْلِ

هُوَ الفَارِسُ المِغْوَار فِيْ حَوْمَةِ الوَغَىْ إِذَا التَقَتِ الفِرْسَانُ وَالخَيْلُ بِالْخَيْلِ

لَهُ الفَرَسُ المَسْرُوْجُ وَالسَّيْفُ لِلْعِـدَا لَهُ الرُّمْحُ وَالْقَوْسُ المُـوَتَّرُ بِالنَّبْلِ

وَنَظْرَتُهُ قَـــدْ أَصْلَحَتْ أَلْفَ مُدْمِنٍ وَذَلِكَ فُضْـــلُ اللَّهِ وَاللهُ ذُوْ فَضْلِ

يَغِيْثُ لِمَلْـهُوْفٍ يُنَادِيْ كَطَـــرْفَةٍ وَأَسْرَعُ مِنْهَا خُذْهُ فِيْ سُوْرَةِ النَّمْلِ

وَعِنْدَ ظُهُوْرِالحَالِ يَخْطُوْ عَلَىْ الهَوَا وَيُظْهِرُ شَيْئَاً لَيْسَ يُدْرَكُ بِالعَقْلِ

(عبد الرحيم وقيع الله، 2002، 107)

ثم مدح البرعي مدارس الطريقة السمانية بمختلف مسمياتها وعلى رأسها المدرسة الطيبية، ثم مدح اليعقوباب والمجاذيب بأم رواية ومدح الأشراف بكركوج والبادراب فقال:

عِندْ سَادَتِيْ البَادْرَابْ وَالطَيِّبِيَّةْ يَا أَحْبَابْ

أَعْرَاكْنَا أَهْلَ البَابْ وَابْوَاتْنَا اليَعْقُوْبَابْ

(عبد الرحيم وقيع الله، 2002، 108)

ثم مدح جملة الطريقة السمانية فقال :

رِحَابَ الصَّدْرِ عِظَامَ القَدْرِ السَمَّانِيَّةْ

سَمُوْ كَالْبَدْرِ وَحَصَادُمْ بَدْرِيْ السـمَّانِيَّةْ

عِظَامْ القَدْرِ كَلَيْلَةِ القَدْرِ السمَّـانِيَّةْ

(عبد الرحيم وقيع الله، 2002، 111)

ولم يقصر البرعي مدحه لطريقته، وإنما مدح كل المدارس الصوفية وشيوخها، وأثنى على الجميع ولم يفاضل بينهم، وهذا هو الفهم القومي للطريقة الواحدة، فالبرعي رجل قومي لم يتعصب لأيِّ طائفة أو مدرسة صوفية، وهذا هو الفهم القويم، لأن المدارس الصوفية وإن اختلفت في مسمياتها فإن منهجها واحد، واستمدادها واحد، وغايتها واحدة، ولكن هنالك من يتعصب لمدرسته وطريقته، وهذا الفهم هو فهم بعض تلامذة المدارس الصوفية الذي يشوبه شيء من الجهل) (فتح الرحمن، 2008 ،173).

ومن المدارس التي مدحها الشيخ البرعي ، الطريقة القادرية فمدح الشيخ الكباشي والشيخ الجعلي فقال في الكباشي :

سَوَاقِيْ تَسُوْقْ لِيْهَا أَزِيْزْ جَدَاوْلُو تَكُبْ وَطِيْنُو عَزِيْزْ

الكَبَّاشِيْ

ذَهَبْنَا الخَالِصَ الإبْرِيْزْ مُطَرَّزْ بِالدُّرَرْ تَطْرِيْزْ

بَاللِّيْلْ تَسْمَعْ لِصَدْرُو أَزِيْزْ أَوْصَافُو تَهِزْ قُلُوبْنَا هَزِيْزْ

لِوِلادَةْ العَاقِرْ القَاطِعْ مُتْوَاتِرْ لِلشُكُوْكْ قَاطِعْ

إيَّاكْ لِحَدِيْثُو لا تْقَاطِعْ بِشِيْلَكْ سِيْفَهُو القَاطِعْ

(عبد الرحيم وقيع الله، 2000، 15)

ومدح فيها الشيخ الجعلي شيخ الطريقة القادرية بكدباس فقال :

قُوْمَاكْ يَا عَلِيْ لِلْقَدْرُو عَلِيْ مُرَبِّيْ القُوْمْ شِيخْنَا الجَعْلِيْ

قُوْلْ فِيْ الجَعْلِيْ بَحْرَ الرِّضْوَانْ نَافِيْ الزَّعَلِيْ

الخُلَفَاءْ الأرْبَعَةْ أَثْنُو عَلِيْ صِدِّيْقْ فَارُوْقْ عُثْمَانْ وَعَلِيْ

إلى أن قال

كَمْ بَلَّ يَبَاسْ زَادُو القُرْآنْ وَالتَّقْوَى لِبَاسْ

شَيْخْ البُقْعَةْ وَرَاجِلْ كَدَبَاسْ يَا مُرِيْدْ زُوْرُو لا تَخَافْ مِنْ بَاسْ

(وقيع الله، 2000، 19)

ومدح الشيخ المكاشفي شيخ الطريقة القادرية المكاشفية فقال :

فُوْقُو الصَّوْلَةْ عَبْدَ البَاقِيْ القَـــايْدَ الدَّوْلَـةْ كِشِّيْفْنَا

ذَاكْـرَ المَـوْلَـــــــى مُكَـابِدْ طَرْفُو لَيَالِيْ الشَّوْلَه

حَالِيْ اللَّهْجَةْ صَـادَقَ القَوْلَةْ الأَحْيَا السُّنَةْ إِمَامَ الدَّوْلَهْ

كِـشِّـيْفْـنَا

(عبد الرحيم وقيع الله، 2000، 11)

ومدح شيوخ الطريقة العركية منهم الشيخ يوسف أبو شرا فقال :

سَوَاقِيْ تَسُوْقْ لِيْهَا رَطِيْنْ جَدَاوْلُو تَكُبْ فَيْ أَحْسَنْ طِيْنْ

الشَّـــــيْخْ يُوْسُـــــــفْ

(عبد الرحيم وقيع الله، 2000، 14)

إلى أن قال:

إِمَامُ الذِّكْرِ وِالتَّحْصِيْن مُحَكَّمْ سُـــوْرُو وَحِصْنُو حَصِيْنْ

فِيْ الحَقِّ قُوْمُو مُتْوَاصِيْنْ لِجَامُـــو يَأَدِّبَ العَاصِيْنْ

مُدِيْرُ الحَـــرَكَه وَالتَسْكِيْنْ يَمِيْنُو بِيَرْحَمَ المِسْكِيْنْ

فِيْ الكُـــوْنِ طَايْلَه لِيْهُو يَدَيْنْ فَكَمْ أَنْقَذْ وَفَشَّ بَدِيْنْ

دَوْمَاً مُسْتَقِيْمْ فِـــــيْ الدِّيْنْ يَعُوْدَ الجَارْ وَيَحِلَّ الدَّيْنْ

أَقْوَامُوْ تَجِيْكَ مُتَطَـــــرْدِيْنْ بِقُوَّةْ، حَمَاسْ مَا بَارْدِيْنْ

ومدح شيوخ الطريقة التجانية فقال في مدح الشيخ أحمد التجاني :

إِنْ ضَاقَ عَيْشُكَ مَرَّةً بِزَمَانِ فَانْزِلْ بِسُوْحِ العَارِفِ الرَبَّانِيْ

نَجْمِ الهِدَايَةِ لِلْمَكَارِمِ وَالتُّقَى شَمْسِ الحَقَائِقِ أَحْمَدَالتِّجَانِيْ

إلى أن قال :

وَلَقَدْ سَمَا فَوْقَ السَّمَاءِ سَنَاؤُهُ فَأَضَاءَهَا مِنْ مَغْرَبِ البِلْدَانِ

وَالبَدْرُ يَظْـهَـرُ لِلأنَامِ هِلالُهُ مِنْ مَغْـرَبٍ لا مِنْ مَحَلٍّ ثَانِ

قُلْ لِلْذِيْنَ يُفَاخِرُوْنَ بِقَوْمِهِمْ جَهْلاً فَلَيْسَ البَدْرُ كَالدَبِرَانِ

(عبد الرحيم وقيع الله، 2002، 121)

ومدح شيخ الطريقة الإسماعيلية، السيد إسماعيل الولي الكردفاني فقال :

إِنْ نَابَ خَطْبٌ فِيْ البِلادِ نَزِيْلُ قُلْ يَا وَلِيَّ اللهِ إِسْمَاعِيْلُ

قُطْبُ الوِصَالِ الكُرْدُفَانِيِّ الذِيْ قَدْ خَصَّهُ مِنْ رَبِّهِ التَبْجِيْلُ

وَلَهُ جَنَانٌ بِالمَــعَارِفِ مُفْعَمٌ وَعَلَيْهِ عَقْــلٌ رَاجِحٌ وَثَقِيْلُ

عَيْنَاهُ سَاهِرَتَانِ إِنْ جَنَّ الدُجَى وَمَنَامُهُ نِصْفَ النَّهَارِ قَلِيْلُ

بِجَمَالِ ذِكْرِ اللهِ أَشْرَقَ وُجْهُهُ نُوْرَاً فَمَا الصَّابُونُ وَالمِنْدِيْلُ

أُخْلاقُهُ تَسِعُ الخَلائِقَ رَأْفَةً يَعْفُوْ وَيَصْفَحُ عَنْهُمُ وَيُقِيْلُ

(عبد الرحيم وقيع الله، 2002، 119)

ثم مدح شيخ الطريقة الختمية فقال :

أَكْـــــرِمْ بِآلِ المَرْغَنِيِّ وَقَوْمِهِ سَادَاتِ أَعْرَابِ الحِجَازِ وَعُجْمِهِ

فَهُمُ البُدوْرُ وَهُمْ شُمُوْسٌ أَشْرَقَتْ فِيْ كَوْنِهِمْ بَلْ هُمْ ثَوَاقِبُ نَجْمِهِ

آلُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ خَـــيْرِ الوَرَى وَرِثُوا بِهِ سِـــرَّ الكِتَابِ وَأُمِّهِ

صَلُّـــوا عَلَيْهِمْ بَعْدَ جَدِّهِمْ الذِيْ صَلَّـــى عَلَيْهِ اللهُ مَعْشَرَ قَوْمِهِ

هُـــمْ نَسْلُ فَاطِمَةَ البَتُوْلِ وَبَعْلِهَا وَخُلاصَةُ السِّبْطَيْنِ طِبُّ الأَكْمَهِ

قَدْ أُكْرِمُـــوا بِطَهَارَةٍ قُـدُسِيَّةٍ مِنْ كُلِّ رِجْزٍ بُوْعِدُوا مِنْ ذَمِّـــهِ

(عبد الرحيم وقيع الله، 2002، 167)

هذا بقصد التمثيل فحسب، ولوفاء الشيخ البرعي مدح أصدقاء والده وإخوانه في الطريق، ونظراءه في زمانه. فمدح الشيخ محمد صالح الأشقر فقال :

مُحَمَّـدْ صَالِـــحْ الأَشْقَرْ تِلْبِيْ القَرْقَرْ مَاصِـــعْ وَهَدَرْ

إلى أن قال:

صَقَّـــعْ دَنْقَـــــــرْ جَـــابْ الأَخْبَارْ بَاللَّيْلْ عَنْقَرْ

إِنْ مَشَىَ غِيْرْ مِيْـــعَادْ فِيْ الحَرْ صَنْقَرْ كَمْ سَبَّلْ عِيْشَاً فِيْ القَنْقَرْ

دِيْنُـــوْ مُبَطَّـــــــرْ عِنْـــد اللهِ عَظِيْمْ أَمْرُو مُسَطـــرَّ

(وقيع الله، 2000، 14)

وقال في قصيدة أخرى:

رُؤْيَاكْ تُنْعِشْ يَا سَاكْنَ أَمْ عِشْ تَحْيَىَ وَفِيْ رُبُوعْ الجَنَّه تَعِشْ

لِـقَبْرُو أَمِـشْ يَا مُـــــــرِيْدْ زُوْرَ المَا مُتْقَمِّشْ

يَلْفَىَ المَغْلُوْبْ لِدَمْعُو يَمِشْ حَالاً قُبَّالْ العِيْنْ تَرْمِشْ

(وقيع الله، 2000، 10)

وقال في قصيدة أخرى :

مَا دَخَرَ النُّقُودْ مَا بِعْرِفْ الخَزْنَاتْ أَشْقَرْنَا اليَقُوْمْ لِلصَّيْحَةْ وَالطَّنّاتْ

زَايْلَهْ قَدَّمْـــــــــهَا لِلْجَنَّاتْ

زَمَنَكْ كَانْ زَمَانْ أَفْنِيْتُو فِيْ الطَاعَاتْ قَوَّامَ اللَّيَالِيْ وَمُعَدِّدْ السَّاعَاتْ

(وقيع الله، 2000، 10)

ثم مدح الشيخ ود الريح "راجل النهد بديار الحمر"

وَدْ الرَّيَحْ يَا نَاسْ قَالْ لَيْ سِيْرْ لِمَوْلاكْ عَدِيْلْ غِيْرْ لَيْ

خَلِّيْ الفَارْغَاتْ وَالعَمَلْ السَّيْ أَوْعَاكَ جُلُوْسْ القَالَنْ سَيْ

إتْوَكَّلْ وَارْمِيْ قِيادَتَكْ لَيْ وَالبِجِيْكْ مُتْخَتْرِيْ حَمَالْتُوْعَلَيْ

(وقيع الله، 2000، 12)

ومدح الشيخ سلامة اللحمر "شيخ قبيلة الشويحات ببنية الشيخ سلامة" فقال:

الزِّيْنِيْنْ الكَرِامَا يَاالسَّادّاتْ هُـــوْيْ نِعْمَ النَّالُو الكَرَامَهْ

يَا قُـــدُّوْسْ يَا سَلامَهْ أَكْـــتُبْ لِيْنَا السَّـــلامَهْ

نَسْلَـــمْ مِنْ كُلْ مَلامَهْ بِنَهْـــجَ اللحْمَرْ سَلامَهْ

(وقيع الله، 2000، 12)

ومدح الشيخ عبد المحمود نور الدائم فقال:

رَجُـــــلْ طَـابَتْ نُفُوْسْ القَومْ بِهِ طَابَتْ

عَظِيْـــــــمْ مَحْمُودْ

لَـهُ تَـــــــدَانَتْ رِجَالاً فِيْ المُلُكْ كَانَتْ

وِلايْتُو الفِيْ الحِجَازْ بَانَتْ فَـمَا الخُـرْطُوْمْ وَلا بَانَتْ

إلى أن قال:

فَـكـــــــمْ أَبْـدَىَ عُـلُوَماً تَدْهِشْ العَبْـدَا

طَوِيْلْ دَرْبُو البَعِيْدْ جَبْدَهْ لأَهَـلِ الشَّيَهْ وَالكَبْدَهْ

(وقيع الله، 2000، 16)

كذلك مدح الشيخ إدريس ود الأرباب فقال :

الشَّيْخْ إدْرِيْسْ وَدَّ الأَرْبَابِ أَبُو فِرْكَةْ رَئِيْسْ لأوْلِيْ الألْبَابِ

ومدح الشيخ الفاتح قريب الله فقال :

أَعْنِيْ الهُمَامَ الفَاتِحَ الحِبْرَ الذِيْ أَخْبَارُهُ بَيْنَ العَـوَالِمِ تُنْـشَرُ

عَجَبَاً لِقَبْرٍ ضَـــــمَّ أُمَـةً وَبِهِ العُلُـوْمُ قَدْ تَوَارَتْ أَبْــحُرُ

لَـمْ تَلْفَهُ إلاَّ خَشُـــوْعَاً ذَاكِراً وَالقَلْبُ بِالفِكْرِ العَظِيْمِ مُعَطَّرُ

أَوْ مُرْشِـــدَاً لِلسَّالِكِيْنَ مُلَقِّنَاً أَوْ نَاصِحَاً وَمُجَاهِدَاً لا يَفْتُرُ

أَوْ جَالِساً مُتَفَقِّـدَاً أَصْـــحَابَهُ يُعْطِيْ وَيُنْفِقُ مَا لَدَيْهِ وَيُؤْثِرُ

(وقيع الله، 2000، 182)

هذا بقصد التمثيل من شعر البرعيين ولله الحمد من قبل ومن بعد.

الخاتمة والنتائج

في الختام أحمد الله كثيرا لإكمال هذا البحث (**مدح الصحابة الكرام والأولياء والصالحين في شعر البرعيين**) والذي أرجو أن يكون إضافة للمكتبة العربية كما أرجو أن يكون قد صادف الصواب، ومن خلال استقراء شعر البرعيين لاحظ الباحث أن شعرهما يدور في معاني كتاب الله، ولهما طريقة متفردة في إدخال معاني الآيات في شعرهما.

والذي يراه الباحث أنهما استوفا النبي الكريم ما يليق به من وصف وتكريم، وأحسنا في ذلك، وكانا موضوعيين في نظمهما، لا يميلان للخيال في مدحهما لرسول الله، لأنهما ينظمان حقائق وكمالات النبوة.

النتائج:

1. معجم شعر برعي السودان ملئ بالألفاظ العامية المتعمقة في دارجة قبيلة الجوامعة في شمال كردفان .
2. خاطب الناس على قدر عقولهم في شعره العامي ، وهذه من حكمة الخطاب.
3. في شعره الفصيح درج على التقليد وكانت لغته عالية كحال لغة برعي اليمن، فهما يخاطبان به المثقفين .
4. تأثرا ببعض الشعراء ممن سبقهوهما كأبي الطيب المتنبي.
5. تأثر برعي السودان ببرعي اليمن وحاكاه.
6. أكثرا في شعرهما من والاقتباس والتضمين من القرآن والسنة وغيرها.
7. مصادر معاني شعر البرعيين مستقاة من القرآن والسنة وفكر التصوف والشعر القديم ، استفاد برعي السودان من التراث الشعري الشعبي في السودان .
8. كل قصائدهما تقبل اللحن، وبرعي السودان صب شعره العامي في قوالب اللحن مجارياً للأغنيات الشعبية في السودان .
9. عاطفتهما جياشة وصادقة ويغلب عليهما طابع الحنين والشوق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
10. أكثر قصائدهما على بحر الكامل ونظما كل قصائدهما على البحور الطويلة، الطويل، والبسيط، و المديد، والوافر، والكامل والرمل، والرجز .
11. تميزا في بنائهما للقصيدة بحسن الاستهلال والتخلص وإدراج اسمهما أو لقبهما حفاظاً على المدحة من الإنتحال.
12. تميزا بمعجم شعري متفرد فهما يستخدمان ألفاظاً بعينها في شعر المديح النبوي تليق بالجناب المحمدي، ويستخدمان ألفاظاً أخرى في شعر القوم .
13. برزت في شعرهما تيارات أدبية متعددة منها الرمزية والرومانتيكية والواقعية.
14. انتهجا أساليب مميزة في تربية النفس وتربية الآخرين من خلال الشعر.

ختاماً أرجو أن أكون قد وفقت وبالله الموفق.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. الشفاء في التعريف بحقوق المصطفي–القاضي عياض.المكتبة التوفيقية، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه ،أحمد فريد المزيدي، ط 1385هـ ج 2 .
3. ديوان البرعي اليماني المكتبة الثقافية بيروت، ط2، 1983م.
4. ديوان الصحابة– الشيخ عبد الرحيم محمد وقيع الله، مطابع العملة ، الأسباط للنشر والتوزيع ، تحقيق عبد الرحيم حاج أحمد، ط1، 2000م.
5. الشمائل المحمدية – هذا الحبيب، للجزائري. دار الشرف للنشر والتوزيع والطباعة ، جدة ط1، 1997م.
6. رياض الجنة ونور الدجنة، عبد الرحيم محمد وقيع الله البرعي، دار الفكر بيروت، ط1، 2002م.
7. الرحيق المختوم، المباركفوري، المكتبة الثقافية، بيروت، ط1، 1999م.
8. نور الأبصار في مناقب آل البيت الأطهار، الشبلنجي، دار الفجر بيروت ، ط1 1987م.
9. دائرة المعارف الإسلامية. ط2 1395هـ.
10. التعريفات، الجورجاني المكتبة الثقافية بيروت، ط1، 1773م.
11. الصور البلاغية عند الشيخ البرعي اليماني ، دكتور حسب الرسول حسن عبد القادر . رسالة دكتوراه ، جامعة الخرطوم، 2006م.
12. سلسلة المدد، برير حاج علي، رقم 6، الطابعون لا يوجد، 2000م.
13. الشاعر عبد الرحيم محمد وقيع الله، فتح الرحمن السيد، ماجستير، جامعة الخرطوم ،2004م.
14. ديوان القوم، عبد الرحيم البرعي، جمع وتحقيق، برير حاج أحمد، الأسباط للإنتاج الفني والإعلان, الطابعون لا يوجد، 2000م.

أثر تطبيق النموذج الأوربي للتميز على نتائج الأعمال
دراسة على عينة من مؤسسات القطاع الخدمي ولاية الخرطوم

أحمد موسى إسماعيل محمد & سامي مصطفى محمد علي & إدريس حسن الحاج علي
جامعة السودان المفتوحة جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى معرفة أثر تطبيق النموذج الأوربي للتميز على نتائج الأعمال في مؤسسات القطاع الخدمي بولاية الخرطوم، إن نجاح المؤسسات يتوقف على قدرتها في أحراز الأهداف لكن تواجه كثير من المؤسسات السودانية الخدمية مشكلات في إحراز النجاح من عدم التزام القيادة العليا بالتميز وأن نتائج أعمالها متدنية وذلك لاعتماد المؤسسات أساليب ونماذج غير متطورة في التنظيم، يشكل عدم وجود منهجيات علمية حديثة ومتكاملة تسهم في التحسين المستمر حاجز في تحقيق النجاح المستدام استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وكانت الاستبانة أداة رئيسية لجمع البيانات عن طريق العينة غير الاحتمالية (االقصدية)، وبناء على ذلك تم توزيع (245) استبانة لشركات ومؤسسات القطاع الخدمي بولاية الخرطوم بنسبة استرداد (93%) ولتحقيق أهداف الدراسة تمت الاستعانة بالدراسات السابقة لبناء نموذج الدراسة وكذلك تطوير الفرضيات، وتم معالجة البيانات إحصائياً عن طريق(Amos 25) تم التأكد من صلاحية النموذج عن طريقة اختبار الفا كرونباخ واستخدم أسلوب تحليل المسار لاختبار فرضيات الدراسة، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها: أن هنالك علاقة إيجابية بين النموذج الأوربي للتميز ونتائج الأعمال بمؤسسات القطاع الخدمي بولاية الخرطوم، أوصت الدراسة باهتمام القيادة العليا بالمؤسسات السودانية بمعايير التميز لتسهم في تحقيق نتائج إيجابية. تم مناقشة النتائج ومقارنتها مع الدراسات السابقة، ومن ثم تقديم عدد من المقترحات بشأن الدراسات المستقبلية.

الكلمات المفتاحية: (القيادة، الاستراتيجية، الشراكات والموارد، نتائج العاملين).

Abstract:

The study aimed to know the impact of the application of the European model of excellence on business results in the service sector institutions in Khartoum State. Because institutions adopt undeveloped methods and models in the organization, the lack of modern and integrated scientific methodologies that contribute to continuous improvement constitutes a barrier to achieving sustainable success. The study used the descriptive-analytical method, and the questionnaire was the main tool for collecting data by means of a non-probability sample (intentional), and accordingly, (245) questionnaires were distributed to companies and institutions of the service sector in the state of Khartoum with a recovery rate of (93%). To achieve the objectives of the study, previous studies were used to build The study model as well as the development of hypotheses, and the data were statistically processed by (Amos 25) the validity of the model was confirmed by the Alpha Cronbach test and the path analysis method was

used to test the hypotheses of the study, and the study reached a set of results, including that there is a positive relationship between the European model for excellence and business results in the service sector institutions in Khartoum State, the study recommended that the higher leadership in Sudanese institutions should pay attention to standards of excellence to contribute to achieving positive results. The results were discussed and compared with previous studies, and then a number of suggestions were made regarding future studies.

Keywords

Leadership – strategy – partnership & resources – people results.

المقدمة:

تهدف المؤسسات السودانية لتحقيق نتائج باهرة ومستدامة تلبي وتتجاوز احتياجات وتوقعات المتعاملين حول سمعة المؤسسة وقيمة الخدمة التي تقدمها وولاء المتعاملين ومدى ارتباطهم بالمؤسسة وتحقق نتائج مدهشة للعاملين في التحفيز والقيادة والإدارة و التدريب والتحسين المستمر والتواصل الفعال وفي مجال نتائج المجتمع تحقق نتائج باهرة تلبي توقعات المعنيين في مجال التأثير المجتمعي

ويعد قطاع الخدمات أهم القطاعات الاقتصادية في السودان، نظراً لمساهمتة الكبيرة في الناتج المحلي الإجمالي و التي بلغت 50.4 % في العام 2018م وهي نسبة أكبر من نسبة مساهمة القطاعين الزراعي والصناعي مجتمعين فالقطاع الزراعي 28.2 %، والقطاع الصناعي 21.4% التقرير الثامن و الخمسون لبنك السودان المركزي، (2018 م، ص 122).

يشكل نموذج التميز للمؤسسة الأوربية لإدارة الجودة أحد الأطر الرئيسية لمساعدة المؤسسات على تعزيز قدرتها التنافسية وتحقيق التميز المستدام باعتباره أحد أهم معاييرها ويقدم هذا النموذج وسيلة لدعم المؤسسات بهدف التوصل إلى أولوياتها وغاياتها بصورة أفضل ويعد نموذج التميز بمثابة الأداء العملية لمساعدة المؤسسات على المسار نحو تحقيق التميز المستدام، مما يساعدها على فهم وتحديد الفجوات ومن ثم ابتكار الحلول لديها (مدثر، 2014).

تهدف الدراسة إلى قياس أثر تطبيق النموذج الأوربي للتميز على نتائج الأعمال.

بناءً على ما سبق تأتي الدراسة كمساهمة علمية عن مدى أثر تطبيق النموذج الأوربي للتميز على نتائج الأعمال بمؤسسات القطاع الخدمي بولاية الخرطوم.

مشكلة الدراسة:

إن الغاية الحقيقية للإدارة هي تحقيق الأهداف لكن تواجه كثير من المؤسسات السودانية مشكلات في إحراز النجاح المستدام عدم التزام القيادة العليا بالتميز وأن نتائج الأعمال متدنية وغير مرضية يشكل عدم وجود منهجيات علمية متكاملة تسهم في التحسين المستمر حاجز في تحقيق النجاح ومن خلال اطلاع الباحثون على عدة دراسات سابقة متعلقة بمتغيرات الدراسة تبين أن هنالك بعض الفجوات التي ظهرت وأغفلت عنها تلك الدراسات تمثلت في عدم ربط النموذج الأوربي للتميز بتائج الأعمال، كذلك اختلافها في الأبعاد، وأيضا في القطاعات المطبقة فيها مثال دراسة (حرز الله، 2020) أثر رأس المال الفكري في تحقيق التميز المؤسسي، ودراسة (سليم، 2020) ممارسات إدارة الموارد البشرية وأثرها على تحقيق التميز المؤسسي ودراسة (سليماني، 2018) أثر أساليب التميز التنظيمي على الأداء السياقي، ودراسة (زين العابدين، 2016) أثر تطبيق معيار العاملين في نموذج التميز على تحسين الأداء، ودراسة (السوسي، 2015) درجة ممارسة الكليات التقنية لإدارة التميز وعلاقتها بالميزة التنافسية، ودراسة (Saada، 2013) مدى تطبيق معيار القيادة في مؤسسات التعليم العالي وفقا للنموذج التميز.

وبناءاً على ما تقدم ولتغطية الفجوات البحثية السابقة تتلخص مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيسي التالى:

إلى أي مدى يؤثر تطبيق النموذج الأوربي للتميز على نتائج الأعمال بمؤسسات القطاع الخدمي بولاية الخرطوم ؟

وتتفرع منه التساؤلات الآتية:

- ما أثر الشراكات والموارد على نتائج العاملين في المؤسسات الخدمية السودانية ؟
- ما أثر الاستراتيجية على نتائج العاملين القطاع الخدمي بولاية الخرطوم ؟
- هل تؤثر القيادة على نتائج العاملين بمؤسسات القطاع الخدمي بولاية الخرطوم ؟

أهداف الدراسة:

الهدف الرئيس من الدراسة هو التعرف علي طبيعة العلاقة بين تطبيق النموذج الأوربي للتميز ونتائج الأعمال:

- اختبار أثر العلاقة بين الشراكات والموارد ونتائج العاملين.
- تحليل أثر العلاقة بين الاستراتيجية ونتائج العاملين.
- قياس أثر العلاقة بين القيادة ونتائج العاملين.

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهمية خاصة بوصفها إحدى المحاولات التي تناولت الربط بين تطبيق النموذج الأوربي للتميز ونتائج الأعمال، كما أنها تعالج موضوعاً لم يجد اهتماماً كبيراً على حد علم الباحثين في المؤسسات الخدمية السودانية، لذا جاءت أهميتها مقسمة إلى:

الأهمية العلمية: من المؤمل أن تقدم الدراسة إضافة علمية جديدة، وخاصةً أنها ستجمع بين متغيرات وأبعاد مختلفة تشخص تفاعل متغيراتها بما يسهم في استنباط مفاهيم ومعطيات وعلاقات جديدة عن موضوعاتها.

الأهمية العملية: الإسهام فيما تقدمه الدراسة من معلومات مهمة لمتخذي القرارات، وماستصل إليه من من نتائج ومقترحات وتوصيات تتعلق حول العلاقة بين متغيرات الدراسة وإمكانية الاستفادة من مخرجات الدراسة في الواقع العملي.

وفي سبيل تحقيق تلك الأهداف تتناول هذه الدراسة (مفاهيم الدراسة، تطوير الفرضيات والعلاقة بين المتغيرات، منهجية الدراسة، اختبار الفرضيات، مناقشة النتائج).

مفهوم النموذج الأوربي للتميز:

مفهوم التميز:

النموذج عبارة عن طريقة العمل أو إجراءات العمل أو العمليات التي أن اتبعت سوف تؤدي إلى نتيجة التميز هو نمط وفلسفة إدارية تعتمد على منهج يرتبط بكيفية الإنجاز في نتائج ملموسة منظمة لتحقيق الموازنة في إشباع احتياجات الأطراف كافة، سواء من أصحاب المصلحة أو المجتمع ككل، في إطار ثقافة من التعليم والإبداع والتحسين المستمر (الرشيد:2009:114)، وهو يشمل على بعدين من محاور الإدارة الحديثة هما: أن غاية الإدارة الحقيقية هي السعي إلى تحقيق التميز، والأخر أن كل ما يصدر عن الإدارة من أعمال وقرارات وما تعتمده من نظم وفعاليات تتسم بالتميز، والبعدين متكاملان (السلمي، 2002، 12).

وهو حالة من الإبداع والتفوق التنظيمي وتحقيق مستويات غير عادية من الأداء و التنفيذ للعمليات في المؤسسة بما ينتج عنه من إنجازات تتفوق على ما يحققه المنافسون ويرضى عنها كافة أصحاب المصلحة (السلمي، 2002، 14).

كذلك يعرف التميز بأنه مجموعة من القواعد و الأساليب المنطقية و الحكيمة التي توازن بين الأهداف والقدرات والممارسات في المؤسسة وتقودها إلى تحقيق أفضل الإنجازات (الدويري 2006،31).

أداة التميز:

هى جهود تنظيمية مخططة تهدف إلى تحقيق الميزات التنافسية الدائمة للمنظمة. لأن السمة الدائمة للعصر الحالي هي التغير في كل شيئ، وعن كل مستوى، وطول الوقت، والثابت الوحيد هو التغيير، لأننا نعيش في عصر المنظمات الذكية (Smart) Organizations حسين الدورى، (www.kantakji.com).

ويعتبر كل من جيمس، وجيرى في كتابهما (البناء من أجل الاستمرار)، أن إدارة التميز عبارة عن أيديولوجية تسير عليه المنظمة فيقولان: إدارة التميز أكبر من أن تكون مجموعة استراتيجيات وخططاً فقط، فهي عقيدة أو أيديولوجية تحوي مجموعة من القيمة والمتغيرات التي لا يمكن التنازل عنها بأى حال من الأحوال بالإضافة إلى الغرض من وجود المنظمة الذى يفوق مجرد تحقيق أهداف مالية أو تنافسية معينة وتنسحب هذه الأيديولوجية إلى ممارسات الإدارة في تصميم مقومات النجاح والتفوق ,(james & jerry,2004,p73) . ومن جهة أخرى تعرف إدارة التميز على أنه القدرة على توفيق وتنسيق عناصر المنظمة وتشغيلها في تكامل وترابط للتحقيق أعلي معدلات االفاعلية والوصول بذلك إلى مستوى المخرجات الذى يحقق رغبات ومنافع وتوقعات أصحاب المصلحة والمرتبطين بالمنظمة. (Johnoakland, 2001,P03) ومن التعريفات السابقة نجد أن إدارة التميز هي قدرته المنظمة على القيام بجميع أعمالها بصورة متوازنة لكل من المتعاملين مع المنظمة والموظفين والمجتمع, وبالتالي زيادة إمكانية النجاح الطويل في العمل.

أهداف التميز:

يحقق التميز أهداف كثيرة للمؤسسة منها (محمد2013، 116– 117).

- السعي نحو التطوير والتحسين المستمر.
- تحقيق الجودة والكفاءة والإبداع وسرعة الاستجابة للعملاء.
- التركيز على القدرات المحورية والاستراتيجية في المؤسسة.
- البقاء والنمو والتفوق على المنافسين في بيئة الأعمال المحلية والمنافسة في السوق العالمي.
- تحقيق عوائد ومنافع متوازنة لمختلف أصحاب المنافع وتنمية العلاقات معهم واستثمارها وتوظيفها.
- الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة وتفعيل مصادر القوة التنافسية بما يحقق الجودة والميزة النسبية عن المنافسين.

أهمية التميز:

يمكن أن نلخص أهم نقاط التميز في النقاط التالية (السوسي، 2015، 15)

- تلبية حاجات المستفيدين من المنتجات والخدمات المقدمة ورضاهم عنها مؤشر على تقليل شكواهم.
- خوض المنافسة الشديدة وتقديم أفضل المنتجات و الخدمات بأقل سعر ممكن.
- الاهتمام برفع الكفاءة الإدارية ووضع حلول عاجلة للمشاكل والتغييرات المفاجئة.
- التواصل مع جميع أقسام المؤسسة بتقنيات الاتصال الحديثة لضمان مشاركة كبيرة بين جميع أفرادها لتطوير أدائها.
- تحقيق الربح المالي يؤدي لارتفاع مكانتها لدى أصحاب المصلحة.
- تفادي التغييرات السريعة والمستمرة وتجهيز أساليب إدارية لمواجهتها.
- الشراكات والموارد: جميع الموارد التي تمتلكها المؤسسة سواء مادية أو معنوية (العايد، 2009، 13).
- الاستراتيجية: الأسلوب الذي تنتهجه المؤسسة لتحقيق وتطبيق رسالتها ورؤيتها وأهدافها. (عبد الفراج، 2016، 13).
- القيادة: تحريك الناس نحو الهدف (السويدان، 2003، 40).
- نتائج العاملين: هو تعبير عن مشاعر الفرد وأحاسيسه التى يمكن اعتبارها انعكاساً لمدى الإشباع الذي يحصل عليه. (عبد الفراج، 2016، 8).
- نتائج الأعمال: هي الإنجازات التي تحققها المؤسسة نتيجة تطبيق معايير التميز(عبد الفراج، 2016).

مفهوم نتائج الأعمال:

المؤسسات المتميزة تحقق نتائج باهرة ومستدامة تلبي أو تتجاوز احتياجات وتوقعات العاملين. على سبيل المثال، تقوم المؤسسات المتميزة بما يلي: (التيجاني،شوقي اليوسف،2012).

1. استخدام حزمة من مقاييس انطباعات ومؤشرات الأداء ذات الصلة لتحديد التطبيق الناجح لاستراتيجيتها والسياسات الداعمة لها، وتبني كل ذلك على احتياجات وتوقعات العاملين لديها.
2. وضع أهداف واضحة لنتائج العاملين الرئيسية بناء على احتياجات وتوقعات العاملين لديها، وذلك وفق الاستراتيجية التي تم تحديدها من قبل المؤسسة.
3. تصنيف النتائج من أجل تفهم تجارب وخبرات واحتياجات وتوقعات مجموعات محددة من العاملين داخل المؤسسة.
4. إظهار نتائج العاملين بشكل إيجابي أو استدامة النتائج الجيدة على مدى ثلاث سنوات على الأقل.
5. تتفهم بوضوح الأساليب الحقيقية المؤدية إلى الاتجاهات الظاهرة ومدى تأثير هذه النتائج على مؤشرات الأداء والانطباعات والنتائج الأخرى ذات الصلة.
6. لديها الثقة في نتائج أدائها المستقبلي بناء على فهمها للعلاقة المؤكدة بين المسببات والأثر.

7. تتفهم أوجه المقارنة بين نتائج العاملين الرئيسية الخاصة بها مع مؤسسات مشابهة وتستخدم هذه البيانات، حيثما كان ذلك مناسباً، لتحديد أهداف جديدة. ويحتوي المعيار علي معيارين فرعيين هما:

نظرية النظم:

النظام عبارة عن أجزاء تعمل مع بعض لتحقيق هدف (حميدة، 2014).

نموذج الدراسة:

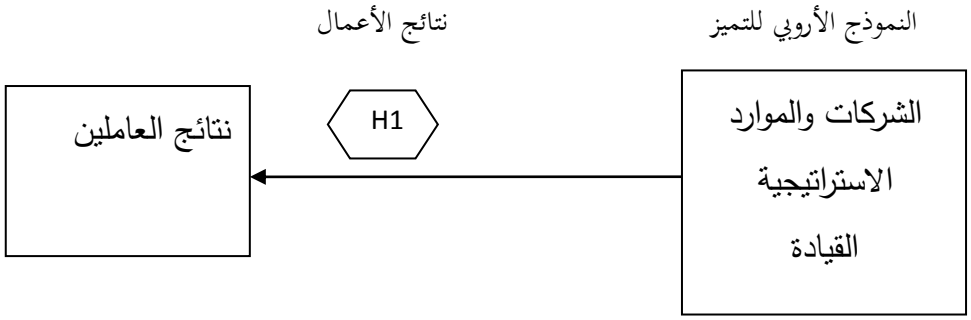

إعداد الباحث استناداً على العلاقة بين متغيرات الدراسة 2021 م

تطوير الفرضيات:

العلاقة بين النموذج الأوربي للتميز ونتائج الأعمال:

فرضيات الدراسة هي علاقة بين متغيرين أو أكثر يعبر عنها في شكل عبارات قابلة للاختبار ويمكن تنمية هذه الفروض من خلال الدراسات السابقة عن طريق الاستنتاج والمسح والتتبع (سيكاران، 2006) ويتم تطوير الفرضية لغرض قياس العلاقة بين المتغيرات والفرضية، وهي:

وجود العلاقة بين النموذج الأوربي للتميز ونتائج الأعمال:

أوضحت العديد من الدراسات السابقة العلاقة بين النموذج الأوربي للتميز ونتائج الأعمال، منها على سبيل المثال دراسة (سليماني 2018 م) والتى أثبتت بأن هناك علاقة بين التميز و الأداء السياقي، ودراسة (زين العابدين 2016 م) والتي توصلت إلى وجود علاقة إيجابية بين معيار العاملين ونتائج الأداء المؤسسي.

ومن خلال العلاقات التي توصلت إليها الدراسات السابقة يمكن استنتاج الفرضية الرئيسية والتي تنص على أن هنالك علاقة إيجابية بين النموذج الأوربي للتميز ونتائج الأعمال في المؤسسات الخدمية بولاية الخرطوم، وتتفرع منها الفرضيات التالية:

1. هنالك علاقة إيجابية بين الشراكات والموارد ونتائج العاملين في المؤسسات الخدمية السودانية.
2. هنالك علاقة إيجابية بين الاستراتيجية ونتائج العاملين في المؤسسات الخدمية السودانية.

3. هنالك علاقة إيجابية بين القيادة ونتائج العاملين في المؤسسات الخدمية السودانية.

منهجية الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي من خلال استخدام أدوات الإحصاء المختلفة، فقد اعتمدت الدراسة على البيانات الأولية و الثانوية وفق مقياس لكر الخماسي المتدرج الذي يتكون من خمسة مستويات.

وتم مراعاة كل الجوانب الأساسية في صياغة الأسئلة لتحقيق الترابط بين المتغيرات، وتم عرض الاستبيان على عدد من المحكمين، وقد اعتبر الباحثون الأخذ بملاحظات المحكمين وإجراء التعديلات المشار إليها بمثابة الصدق الظاهري وصدق المحتوي لأداة الدراسة و بالتالي فإن الأداة أصبحت صالحة لقياس ما وضعت له.

تم اختيار مفردات الدراسة من مجتمع الدراسة عن طريق العينة غير الاحتمالية (القصدية)، (اوما سيكاران، 2010م) وذلك عن طريق الاستبانة الموجه لعينة من المدراء في مؤسسات القطاع الخدمي بولاية الخرطوم و البالغ عددها (25) قطاع، حيث تم توزيع عدد ((245استبانة عن طريق اليد وتم الاستلام بعد تعبئتها مباشرة وكان عد د الاستبيانات المستردة)240 (بنسبة (95%).

بينما بلغ عدد الإستبيانات غير صالحة للتحليل 9 استبانة بنسبة (3%) أما عدد الاستبيانات الصالحة للتحليل فيساوي (231) استبانة بنسبة (93%) من إجمالي الاستبيانات الموزعة والمستلمة وهي نسبة تعتبر كبيرة في البحوث الوصفية التي تعتمد على قوائم الأسئلة أو الاستبيانات وتعكس مدى استجابة المبحوثين ومدى وضوح عبارات الاستبيان المستخدمة في جمع بيانات الدراسة الميدانية.

التحليل و النتائج:

التحليل الوصفي للبيانات الأساسية للدراسة:

احتوت حيث نجد فيما يتعلق بالنوع أن العينة شملت (70.6 % من الذكور وهي أعلى نسبة و 28.1% من الاناث)، أما العمر فنجد أن أفراد العينة أعمارهم (أقل من 30 سنة بنسبة 12.1 % ونسبة 26.8% من الفئة 40-30 سنة وأن نسبة 42.9 وهي أعلى نسبة كانت أعمارهم من 40 إلي 50 ونسبة 18.2 من الفئة من 60 -50 أما فيما يتعلق بالمؤهل العلمي فنجد أن 26% ثانوي، ونسبة 35.9% منهم جامعي، ونسبة (61.5%) وهي أعلى نسبة منهم فوق الجامعي أما فيما يتعلق بالمسمي الوظيفي فنجد أن 5.2% مدير، ونسبة 16.5% منهم نائب مدير ونسبة (38.5%) وهي أعلى نسبة منهم رئيس قسم، ونسبة 2.6% منهم مدير جودة، ونسبة 10.4% منهم مدير تخطيط، ونسبة 6.1%

منهم رئيس قسم التدريب، ونسبة 19.0% منهم مدير إدارة الموارد البشرية أما فيما يتعلق بعدد العاملين فنجد أن 3.5% اقل من 150 عامل، ونسبة.9% منهم من 150 إلى 250 عامل، ونسبة 93.1% وهي أعلى نسبة منهم أكثر من 250 عامل) اما فيما يتعلق بعدد المنافسين فنجد أن 19.0% أقل من 15 منافس، ونسبة 11.7% من 15 الي 30 منافس، ونسبة 65.4 % اكثر من 30 وهي أعلى نسبة، أما فيما يتعلق بالحجم فنجد أن 13.4% صغير، ونسبة 44.2%كبير وهي أعلى نسبة، ونسبة 40.7%.

التحليل العاملي الاستكشافي النموذج الاروبي للتميز:

تم إجراء التحليل ألعاملي الاستكشافي لمتغيرات الدراسة بهدف اكتشاف العوامل التي تصف تلك المتغيرات، ولاختبار الاختلاف بين العبارات التي تقيس كل متغير من المتغيرات، حيث تم توزيع عبارات الاستبانة على متغيرات معيارية يتم فرضها وتوزع عليها العبارات التي تقيس كل متغير حسب انحرافها المعياري عن الوسط الحسابي، بحيث تكون العلاقة بين المتغيرات داخل العامل أقوى من العلاقة مع المتغيرات في العوامل الأخرى. وتم استخدام حزمة برنامج التحليل الإحصائي في إجراء عملية التحليل العاملي الاستكشافي حيث تم التحليل لكل متغير على حده كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول رقم (1) التحليل العاملي الاستكشافي النموذج الأروبي للتميز:

العبارات	F3	F2	F1
الشراكات والموارد1	.879		
الشراكات والموارد2	.893		
الشراكات والموارد3	.559		
الشراكات والموارد4	.773		
الاستراتيجية2		.881	
الاستراتيجية4		1.000	
القيادة3			.624
القيادة2	.		.911
القيادة1			.801
KMO and Bartlett's Test			
Kaiser-Meyer-Olkin Measure of Sampling Adequacy.			.760
Bartlett's Test of Sphericity	Approx. Chi-Square		2177.922
	Df		78
	Sig.		.000

إعداد الباحث استناداً على العلاقة بين متغيرات الدراسة 2021 م

التحليل العاملي الاستكشافي رضا العاملين:

تم إجراء التحليل العاملي الاستكشافي لمتغيرات الدراسة بهدف اكتشاف العوامل التي تصف تلك المتغيرات، ولاختبار الاختلاف بين العبارات التي تقيس كل متغير من المتغيرات، حيث تم توزيع عبارات الاستبانة على متغيرات معيارية يتم فرضها وتوزع عليها العبارات التي تقيس كل متغير حسب انحرافها المعياري عن الوسط الحسابي، بحيث تكون العلاقة بين المتغيرات داخل العامل أقوى من العلاقة مع المتغيرات في العوامل الأخرى. وتم استخدام حزمة برنامج التحليل الإحصائي في إجراء عملية التحليل العاملي الاستكشافي حيث تم التحليل لكل متغير على حده كما هو موضح في الجدول التالي:

شكل رقم (1) التحليل العاملى التوكيدي لمتغيرات الدراسة

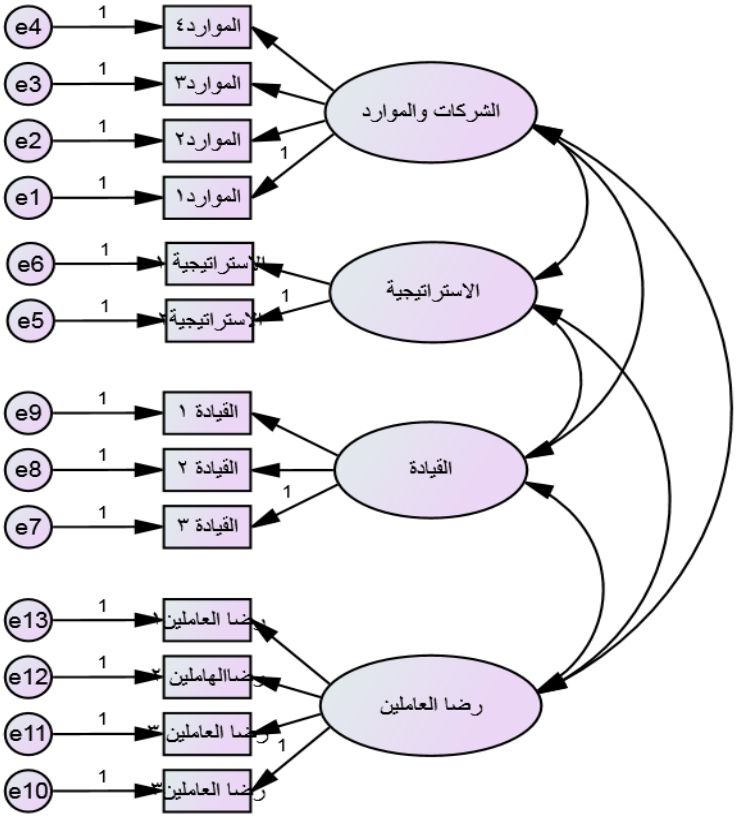

جدول رقم (2) التحليل العاملي الاستكشافي نتائج العاملين:

KMO and Bartlett's Test			
Kaiser-Meyer-Olkin Measure of Sampling Adequacy.			.792
F1	العبارات	Approx. Chi-Square	1396.995
.826	رضا_العاملين1	Df	36
.978	رضا_العاملين2	Sig.	.000
.813	رضا_العاملين3		
.865	رضا_العاملين4		
Bartlett's Test of Sphericity			

جدول رقم (3) الاعتمادية والارتباطات لمتغيرات الدراسة:

المتغيرات	كرنباخ ألفا	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية	1	2	3	4
الشركات والموارد	0.869	2.1277	.71584	43%	1			
الاستراتيجية	0.974	2.1926	1.05537	44%	.127	1		
القيادة	0.816	1.8932	.73369	38%	.065	.185	1	
نتائج العاملين	0.887	2.2511	.75018	45%	.039	.054	.064	1

إعداد الباحثون استناداً على العلاقة بين متغيرات الدراسة 2021 م

اختبار فرضيات الدراسة:

نمذجة المعادلة البنائية: Structural Equation Modelling [SEM]

أعتمد الباحثون في عملية التحليل الإحصائي للبيانات على أسلوب نمذجة المعادلة البنائية وهو نمط مفترض للعلاقات الخطية المباشرة وغير المباشرة بين مجموعة من المتغيرات الكامنة والمشاهدة, وبمعنى أوسع تُمثل نماذج المعادلة البنائية ترجمات لسلسلة من علاقات السبب والنتيجة المفترضة بين مجموعة من المتغيرات. وبالتحديد استخدام أسلوب تحليل المسار، لما يتمتع به هذا الأسلوب من عدة مزايا، تتناسب مع طبيعة الدراسة في هذا البحث، وفيمايلي عرض مختصر لهذا الأسلوب ومبررات استخدامه.

تحليل المسار: Path Analysis:

وهو أحد أساليب نمذجة المعادلة البنائية، والتي تعني بدراسة وتحليل العلاقات بين متغير أو أكثر من المتغيرات المستقلة سواء كانت هذه المتغيرات مستمرة أو متقطعة ومتغير أو أكثر من المتغيرات التابعة سواء كانت هذه المتغيرات مستمرة أومتقطعة بهدف تحديد أهم المؤشرات أو العوامل التي يكون لها تأثير على المتغير أو المتغيرات التابعة، حيث أن نمذجة

المعادلة البنائية تجمع بين أسلوب تحليل الانحدار المتعدد والتحليل العاملي (Barbara G. Tabachnick and Linda S. Fidell, 1996)، ويستخدم تحليل المسار فيما يماثل الأغراض التي يستخدم فيها تحليل الانحدار المتعدد، حيث أن تحليل المسار يعتبر امتداداً لتحليل الانحدار المتعدد، ولكن تحليل المسار،أكثر فعالية حيث أنه يضع في الحسبان نمذجة التفاعلات بين المتغيرات.

الفرضية الرئيسية العلاقة بين النموذج الأروبي للتميز (الشركات والموارد, الاستراتيجية, القيادة) ونتائج الأعمال (نتائج العاملين).

في ضوء افتراض التطابق بين مصفوفة التغاير للمتغيرات الداخلة في التحليل والمصفوفة المفترضة من قبل النموذج تنتج العديد من المؤشرات الدالة على جودة هذه المطابقة، والتي يتم قبول النموذج المفترض للبيانات أو رفضه في ضوئها والتي تعرف بمؤشرات جودة المطابقة لاختبار الفرضية.وللحكم على مدى معنوية التأثير، حيث تم مقارنة مستوى المعنوية المحتسب مع قيمة مستوى الدلالة المعتمد، وتعد التأثيرات ذات دلالة إحصائية إذا كانت قيمة مستوى الدلالة المحتسب أصغر من مستوى الدلالة المعتد (0.05) والعكس صحيح , والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول رقم (4) يوضح قيم تحليل المسار من النموذج الاروبي للتميز ونتائج الأعمال:

			Estimate	S.E.	C.R.	P	النتيجة
نتائج العاملين	<---	الشركات والموارد	.531	.176	3.012	**.003**	يوجد تاثير
نتائج العاملين	<---	الاستراتيجية	.432	.069	6.261	***	يوجد تاثير
نتائج العاملين	<---	القيادة	-.012	.113	-.105	**.917**	لا يوجد تاثير

إعداد الباحثون استناداً على العلاقة بين متغيرات الدراسة 2021 م

ملخص نتائج الفرضيات:

الفرضية	نص الفرضية	p	النتيجة
1	توجد علاقة إيجابية بين تطبيق النموذج الاوربي للتميز ونتائج الأعمال		
1-1	توجد علاقة إيجابية بين الشراكات والموارد ونتائج العاملين	003	دعمت
2-1	توجد علاقة إيجابية بين الاستراتيجية ونتائج العاملين	**	دعمت
3-1	توجد علاقة إيجابية بين القيادة ونتائج العاملين	917	لم تدعم

إعداد الباحثون استناداً على العلاقة بين متغيرات الدراسة 2021 م

مناقشة النتائج:

من خلال نتائج الدراسة أتضح بأنه توجد علاقة إيجابية بين النموذج الأوربي للتميز ونتائج الأعمال وهذه النتيجة تتفق مع دراسة (سليماني، 2018) التي أثبتت وجود علاقة موجبة بين التميز والأداء السياقي، أيضا توصلت الدراسة لوجود علاقة إيجابية بين الشراكات والموارد ونتائج العاملين، وهذذه النتيجة تتفق مع دراسة (جمر، 2015) التي أثبتت وجود علاقة إيجابية بين الشراكات والموارد ونتائج العاملين، أيضا توصلت الدراسة لوجود علاقة إيجابية موجبة بين الاستراتيجية ونتائج العاملين، وهذه النتيجة تتفق مع دراسة (عب الفراج، 2016) التي أثبتت وجود علاقة إيجابية بين الأستراتيجية ونتائج العاملين.

كذلك أثبتت نتائج الدراسة عدم وجود علاقة إيجابية بين القيادة ونتائج العاملين وتختلف مع نتيجة (جمر، 2015) التي االثبتت وجود علاقة إيجابية بين القيادة ونتائج العاملين.

التوصيات:

1. أن تهتم القيادة العليا بالمؤسسات السودانية بمعايير التميز لتسهم في تحقيق نتائج إيجابية.
2. نشر الوعي بأهمية معايير التميز وإدارة المعرفة والثقافة التنظيمية من خلال ورش العمل للحصول على نتائج إيجابية.
3. على المؤسسات اجراء مقارنة معيارية معياريه مع المؤسسات المتميزة من أجل التحسين المستمر.

محددات الدراسة:

1. تم استخدام الاستبيان لجمع بيانات العينة وفيه تم الاعتماد على نوعية الأسئلة المغلقة و التي لا تسمح للمبحوث الإجابة عن أسئلة الاستبيان حسب نمطه وأسلوبة الشخصي وحصره في عدد من الإجابات المحددة مسبقاً.
2. صعوبة الحصول على البيانات

الدراسات المستقبلية:

1. أثر تطبيق النموذج الأوربي للتميز 2020 على نتائج الأعمال.
2. أثر تطبيق النموذج الأوربي للتميز على نتائج الأعمال: القدرات المعرفية متغير وسيط.
3. أثر تطبيق النموذج الأوربي للتميز على نتائج الأعمال: الثقافة التنظيمية متغير معدل.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

أولاً: الكتب

1. الرشيد صالح، التميز في الأداء ماهيتة وكيف يمكن تحقيقة في منظمات الأعمال، مجلة آفاق اقتصادية، الإمارات.
2. اوما سيكاران، طرق البحث العلمي في الإدارة، مدخل لبناء المهارات البحثية، دار المريخ للنشر، 2010م.
3. جاد الرب سيد محمد، إدارة الإبداع والتميز والتنافس، مطابع الدار الهندسية، مصر، 2013م.
4. طارق محمد السويدان، فيصل عمر، صناعة القائد، الكويت، 2003 م.

الرسائل الجامعية:

1. امينة عبد القادر علي حميدة، اتجاهات مديري المكاتب التنفيذية نحو التفكير الابتكاري وعلاقتها بمستوى الإبداع الإداري، دراسة دكتوراه غير منشورة جامعة السودان للعلوم والكنولوجيا، 2014م.
2. الرضي عبد الكريم عبد الفراج، قياس أثر معايير التميز على نتائج الأداء: الثقافة التنظيمية متغير وسيط، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة السودان للعلوم و التكنولوجيا، 2016 م.
3. غسان الدويري، إدارة التميز في القطاع العام، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، 2006،
4. نازك عبد العظيم زين العابدين، أثر معيار العاملين في نموذج التميز على تحسين الأداء، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السودان للعلوم و التكنولوجيا، 2016م.
5. هالة ميرغني كلينا جمر، أثر تبني نموذج التميز في تطوير الأداء، دراسة ماجستير غير منشورة، جامعة السودان للعلوم و التكنولوجيا، 2015م.
6. يوسف رزق عبد الله السوسي، درجة ممارسة الكليات التقنية لإدارة التميز وعلاقتها بالميزة التنافسية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية غزة، 2015م.

الرسائل الأجنبية:

1. James C Collins & jerry f porras, Builto last, Random lotuse, 2004 London.
2. Johns, Oakland, Total Organizational Excellence, Butter, worth Heinemann USA 2001.
3. Saada 1(2013) applying leadership c riterion of Efqm Excellence modlin high er Education.

المواقع الإلكترونية:

1. بنك السودان المركزي التقرير السادس و الخمسون (2016 م) http://www.cbos.gov.sd

توظيف شخصية المتصوف محي الدين بن العربي في شعر البياتي
قصيدة عين الشمس "نموذجاً"

الصادق آدم عمر

عمادة البحث العلمي – جامعة السودان المفتوحة

شارع عبيد ختم، شمال القسم الشرقي، أركويت، الخرطوم، السودان

المستخلص:

يهدف هذا البحث لمتابعة أكثر الشخصيات الصوفية إثارة للجدل في تاريخ التصوف الإسلامي، شخصية المتصوف محي الدين بن العربي، كما تنعكس في واحدة من قصائد القناع في الشعر العربي الحديث للشاعر العراقي عبدالوهاب البياتي: قصيدة عين الشمس أو تحولات محي الدين بن العربي في ديوان ترجمان الأشواق. والتي يوظف فيها البياتي قناع محي الدين بن العربي. وتكمن أهمية دارسة هذا الموضوع في إظهار العلاقة بين الأدب العربي المعاصر والتصوف الإسلامي .وبالتالي فتح المجال لدارسات مستقبلية تتناول أقنعة صوفية وظفها الأدب العربي الحديث ،والغرض من هذا التوظيف، وكذلك طرح جدلية العلاقة بين الأدب والتصوف، وفي هذا أيضاً يكمن هدف هذه الدارسة. من حيث المبنى، ستكون هذه الد ارسة تحليلية، حيث يتم متابعة وتحليل المستوى الصوفي في قصيدة الشاعر العراقي عبدالوهاب البياتي. هذا وسيحتل المقطعان الأول والأخير من القصيدة الطويلة – التي تتألف من ثمانية مقاطع – الحيز الأكبر من التحليل, وتوصلت الدراسة إلى نتائج عدة من أهمها: إن تجربة البياتي في قصيدته هذه، محاكاة لتجربة محي الدين بن العربي في ترجمان الأشواق، تحدث البياتي عن علاقة ابن العربي بالله، ليشير إلى علاقته هو مع الشعر والقصيدة، فنلاحظ توظيف البياتي للأفكار الصوفية التي يشخصها المتصوفة من القرون الوسطى، كفكرة حدوث العالم بالولادة، توحد الواحد في الكل، اللاهوت والناسوب، كما نجد أن هذه الأفكار التي وظفها البياتي أكدت وتؤكد فكرة حب الشاعر لقصيدته والتوحد بها، وختمت الدراسة ببعض التوصيات كما ذيلت بالمصادر والمراجع.

Abstract

This research aims to follow up the most controversial Sufi figure in the history of Islamic mysticism, the personality of the Sufi mystic Muhyiddin Ibn al-Arabi, as reflected in one of the poems of the mask in the modern Arabic poetry of the Iraqi poet Abd al-Wahhab al-Bayati: the poem Ain al-Shams or the transformations of Muhyiddin Ibn al-Arabi in the Diwan of Tarjuman al-Ashwaq. Al-Bayati employs the mask of Muhyiddin Ibn al-Arabi. The importance of studying this subject lies in showing the relationship between contemporary Arabic literature and Islamic mysticism, thus opening the field for future studies dealing with mystical masks employed by modern Arabic literature, and the purpose of this employment, as well as to put forward the dialectic of the relationship between literature and mysticism where lies the goal of this study. In terms of structure, this study will be analytical, as the mystical level in the poem of the Iraqi poet Abdul Wahhab Al-Bayati is followed up and analyzed. The first

and last syllables of the long poem - which consists of eight syllables - will occupy the largest part of the analysis. The study reached several results, the most important of which are: The experience of Al-Bayati in this poem is a simulation of the experience of Muhyiddin Ibn Al-Arabi in "The Interpreter of Desires." Al-Bayati spoke about Ibn Al-Arabi's relationship with God, to refer to his relationship with poetry and the poem. We note Al-Bayati's employment of the Sufi ideas that the Sufis personified from the Middle Ages, such as the idea of the occurrence of the world by birth, the unity of the one in all, theology and the Nasub. We also find that the ideas employed by Al-Bayati confirmed and confirm the idea of the poet's love for his poem and uniting with it, and the study concluded with some recommendations as appended to the sources and references.

أ. التناص الصوفي في قصيدة: عين الشمس أو تحولات محي الدين بن العربي في ديوان ترجمان الأشواق، في قصيدة "عين الشمس أو تحولات محي الدين بن العربي في ترجمان الأشواق،يقول الشاعر العراقي: (عبدالوهاب البياتي،1997م،45)"

أحمل قاسيو ن

غزالة تعدو وراء القمر الأخضر في الديجور ووردة أرشف فيها فرس المحبوب وحملا يثغو وأبجدية

أنظمة قصيدة، فترتمي دمشق في ذارعة قلادة من نور أحمل قاسيون تفاحة أقضمها وصورة أضمها تحت قميص الصوف

أكلم العصفور وبردي المسحور

فكل اسم شارد ووارد أذكره عنها أكني واسمها أعني وكل دار في الضحى أندبها فدارها أعني توحد الواحد في الكل والظل

في الظل وولد العالم من بعدي ومن قبلي

كلمي السيد والعاشق والمملوك والبرق والسحابة

والقطب والمريد وصاحب الجلالة

أهدي إلى بعد أن كاشفني غازلة لكنني أطلقتها تعدو وارء النور في مدائن الوطن المفقود فسلخوها قبل أن تذبح أو تموت

وصنعوا من جلدها ربابة ووت أَر لعود

وها ان أشده فتورق الأشجار في الليل ويبكي عندليب الريح وعاشقات بردي المسحور والسيد المصلوب فوق السور

تقودني أعمى إلى منفاي عين الشمس

تملكني مثلما أملكها تحت سماء الشرق

وهبتها ووهبتني وردة ونحن في مملكة الرب نصلي في انتظار البر ق ولكنها عادت إلى دمشق مع العصافير

ونور الفجر تاركة مملوكها في النفي 7

عبداً طروباً آبقاً مهيا للبيع وميتا وحي

يرسم في دفاتر الماء وفوق الرمل جبينها الطفل وعينيها وومض البرق عبر الليل وعالماً يموت

أو يموت قبل صيحة الموت أو الميلاد

عدت إلى دمشق بعد الموت أحمل قاسيو ن أعيده إليها مقبلاً يديها

فهذه الأرض التي تحدها السماء والصحارء والبحر والسماء طاردني أمواتها وأغلقوا على باب القبر وحاصروا دمق

وأوغروا على صدر صاحب الجلالة من بعد أن كاشفني وذبحوا الغازلة لكنني أفلت من حصارهم وعدت

أحمل قاسيون تفاحة

أقضمها وصورة

أضمها تحت قميص

الصوف من يوقف النزيف

وكل ما نحبه يرحل أو يموت

يا سفن الصمت ويا دفاتر الماء وقبض الريح موعدنا ولادة أخرى وعصر قادم جديد يسقط عن وجهي وعن وجهك فيه

الظل والقناع وتسقط الأسواق (ديوان، البياتي،1997م،45)

تتحدث هذه القصيدة بمضمونها العام عن تجربة محي الدين بن العربي في الحب؛ تلك التجربة التي شخصها ابن العربي شعَراً في كتابه ترجمان الأشواق، حيث يلمح ابن العربي إلى محبوبة اسمها "النظام" ولقبها "عين شمس" ومن الواضح أن لهذا اللقب دلالاته، فالعين عند البياتي هي الوساطة التي يعبر بها عن جمال الحق وجمال أسمائه وهي الأداة التي يسخرها ليتمكن من عكس صورة الله، وفي القصيدة المشار إليها تدلل العين على جمال المحبوبة التي تتراءى للشاعر بجمال الشمس،1882، Hakki) وهذه المحبوبة امرأة أرضية ترمز للمعشوق الأكبر لدى محي الدين بن العربي وهو الله؛ نستند في ذلك على أن الغزل الوارد في ديوان ترجمان الأشواق صوفي يظهر بلباس الغزل الأرضي التقليدي. وهذا ما يؤكده ابن العربي في كتابه ذخائر الأعلاق. فحين نقرأ ترجمان الأشواق نظن للوهلة الأولى أننا أمام غزل عذري؛ إلا أنه في الحقيقة غزل صوفي إلهي، فعين الشمس – محبوبة ابن العربي هي الوسيلة للوصول إلى الله.

وابن العربي ليس وحيداً في هذا التوظيف بل لجأ معظم شعراء الغزل الصوفي الذين قصدوا الذات الإلهية بغزلهم الصوفي إلى التغزل بفتاة مجردة، كليلي، علوة، والنظام لدى ابن العربي، وهذه الفتاة المجردة تكون رمزاً للذات الإلهية، أو طريق للذات الإلهية (حيدر،1999م,20)

إن توظيف البياتي لشخصية محي الدين بن العربي لم تكن مجرد توظيف تراثي عابر فحسب، بل هي شخصية لها مكانتها وتأثيرها الخاصين لدى البياتي، حيث يقول البياتي في ذلك: كان مفتاح دخولي إلى عالم ابن العربي هو الحب الذي كان يدعو إليه، وليس من باب الموت والشهادة، فعالم ابن العربي أغنى من عالم الحلاج وأكثر خصوبة، وهكذا ترى أنني أعيش بعمق حالاتي الشعرية، بل الأصح أنني أعيش شعري قبل ولادته وبعدها. (سنير، 2002م،177)

تمتد هذه القصيدة على ثمانية مقاطع مرتبة بدون عناوين، يتحدث فيها محي الدين بن العربي القناع في القصيدة، حيث يختبيء الشاعر من ورائه، المعاني هي معاني ابن العربي، لكنها محالة وعبر القناع إلى عبدالوهاب البياتي. تبدأ القصيدة بحديث ابن العربي الذي يحمل محبوبته من قاسيون الدمشقية (درويش، 1997م،67) ويتوحد فيها لشدة عشقه لها (سنير 2002م،23) فهي غزالة تعدو وارء القمر الأخضر في الظلام، ووردة يرشف فيها فرس المحبوب، وتفاحة يقضمها، وصورة يضمها تحت قميص الصوف، كل ذلك إشارة لشدة عشقه لها، والبياتي يحيل ومنذ البداية هذا الحب إلى الله، فعين الشمس التي ترمز إلى الله، غزالة تعدو وارء القمر الأخضر في الظلام، وهي رمز لنور الهداية، الذي يحيلنا بطبيعة الحال إلى الله، وهي وردة يرشف فيها فرس المحبوب، أي عن طريقها يصل ابن العربي إلى محبوبه الله.

والقصيدة في معانيها مبنية على علاقة وصل واحدة هي العشق، فحال ابن العربي مع محبوبته الأرضية عين الشمس التي هي طريق لله حال العشق. والعشق في الفكر الصوفي هو المحبة، والمحبة كما تقول الصوفية هي الحال الثالثة من الأحوال الصوفية، وهي أساس كل الأحوال العالية وهي الإرادة، ومراد القوم من المحبة ليس الإرادة، لأن الإرادة لا تتعلق بالقديم (الله)، إلا إذا حملت على إرادة التقرب لله، أما محبة الخالق لعبده، فهي إرادة لعبده، فهي إرادة نعم فالرحمة أخص من الإرادة، والمحبة أخص من الرحمة. ومن وراء تلك المعاني، في القصيدة المشار إليها،تتكشف خيوط أخرى هي الطبقة الأخيرة للمعاني، تلك المعاني التي تخص البياتي نفسه، وكأن البياتي يقول إن حاله مع قصيدته هي حال العشق أيضاً، ويبدو أن البياتي يوظف معاني العشق الصوفي عبر الأقنعة الصوفية ليتحدث عن الشعر و الكتابة، إن البياتي يكتب هذه

القصيدة في جبل قاسيون عند ضريح ابن العربي،وذلك كما يظهر من خلال مذكراته، فهو يستحضر الماضي بمكان الحاضر، ويعبر عن حالته الشعرية الراهنة عبر العودة إلى تراث الصوفي محي الدين بن العربي (عوض،1999م،54)

إن تجربة البياتي في قصيدته هذه، محاكاة لتجربة محي الدين بن العربي في ترجمان الأشواق، فيتحدث البياتي عن علاقة ابن العربي بالله، ليشير إلى علاقته هو مع الشعر والقصيدة، فنلاحظ توظيف البياتي للأفكار الصوفية التي يشخصها المتصوفة من القرون الوسطى، كفكرة حدوث العالم بالولادة، توحد الواحد في الكل، اللاهوت والناسوت. وفي هذا السياق، يقول البياتي: " ثم جاءت مرحلة ابن العربي في شعري ميتافيزيقية خالصة، لكنها ميتافيزيقا تاريخية، أي ناتجة عن معاناة وجودية، لأن المعاناة تصبح مجرد ملامسة للشعور الميتافيزيقي وليست غوصاً في أعماقه (المرجع السابق،282-283)

9

إن الأفكار التي وظفها البياتي تؤكد فكرة حب الشاعر لقصيدته والتوحد بها كما يتوحد الصوفي بالله؛ وهذا ما يؤكده البياتي:

ولهذا فإن حبي لن يموت، والمرأة التي أحبها لن تغيب أو تموت أبداً، ذلك لأن الحب الذي هو جوهر الوجود الفاعل يبقى هو هو، أما الصور فتتغير، ولكن المرأة المحبوبة إذا ماتت فإن روح حبها يحل في امرأة أخرى تقوم من رمادها، تصل الحب الأرضي بالحب الإلهي، وهذا ما نفتقده دائماً في حياتنا، وهذه هي وظيفة الشعر التي تدفع الإنسان للتمرد على واقعه، والتمرد على الصيغ المصنوعة التي وراءها من التقاليد والعادات، ولجعل الحياة أكثر سعادة وأملاً وإيماناً بالإنسان (الصايغ، 1996م،202-203)

إن محبوبة ابن العربي الموصوفة بالغزالة، تنطلق من كهف الظلمة إلى اخضرار المعاني، إلى النور، إلى الحياة، هكذا أصبحت غزالة ابن العربي، تعني له كل شيء، تفاحة يقضمها، قلادة من نور، رمزاً بخضرة الحياة، ليتوحد فيها توحد الواحد في الكل والظل في الظل، فالغزالة أو عين الشمس تقود ابن العربي نحو النور،والقصيدة تخرج البياتي الشاعر من ظلمة المرحلة الصعبة من عمر الأدب نحو النور، فالدياجير التي يشير إليها البياتي، والتي تسير غزالة ابن العربي فيها نحو الضوء، وما هي إلا رمز لحالة الشعر الصعبة والمترهلة في عصر البياتي (سنير،2003م،37) وهنا لا بد من الإشارة إلى أن نظرية توحد الواحد في الكل، أو وحدة الوجود، هي خيال يقوم على أن هذا العالم المختلف في أشكاله، ليس سوى مظاهر متعددة لحقيقة واحدة، هي الوجود الإلهي، ومن هذه النظرية تفرقت جميع آراء ابن العربي وخيالاته، لأنها في الحقيقة عقدة نظامه

(الصوفي، 1998م،67، Elmore) وفي السطور الأخيرة من المقطع الأول للقصيدة يشير البياتي وبوضوح إلى فكرة ابن العربي في مبدأ الوحدة والكثرة، التي لطالما عالجها ابن العربي بمصطلحاته الميتافيزيقية، بالتمثيل والتشبيه بالمجازات المفرقة ممثلاً للفكرة، مجتازاً طرائق شرح الفكرة، كالتجلي في المرآة، والتخلل والسريان والتعرف، والله هو واحد في كثرة أو هو جامع لحقائق العالم المتفرقة، كما عين الشمس عند ابن العربي جامعة لكل الرموز من الخضرة والقلادة النوارنية والغزالة والتفاحة.

إن عين الشمس في قصيدة البياتي، كما هي في ديوان ابن العربي، الرمز الجامع لكل الرموز الأخرى، يتحد الصوفي فيها ليبلغ الله، ويتحد بها فيضمها إليه صورة تحت قميص الصوف، الذي يرتديه المتصوفة (عوض،1999م، 21) فالشاعر يعايش مرحلة سوداوية، ويريد من الغزالة أن تزيل السواد عن دمشق، وعن القصيدة والشعر، وعن الحضارة العربية، كل هذه الثلاثة كانت في زمن واحد زمن ابن العربي، حين كان الفكر العربي الصوفي حاضراً، وحين كانت دمشق في أوج ازدهارها (المصدر السابق،24) والشاعر بفصيدته هذه، وقناعه هذا، يلمح إلى رغبته الكبيرة في التخلص من هموم المرحلة الراهنة على كافة الأصعدة.

البياتي الشاعر من وراء ابن العربي القناع، يعلن حالة الرفض على ثوابت المجتمع الجديدة، ويضمنها الشعر والكتابة، فينادي مطالباً أن تعود حرية الكلام في الأدب، كما كانت موجودة من قبل، وهذه العودة هي "بعث" ومع هذا البعث تسقط كل أقنعة الزيف، ويتلاشى الظل (منصور،1999م،89)

إن قصيدة البياتي هذه ومن وارء التحليل أعلاه، وبالاعتماد على المرجعيات السابقة،قصيدة تتخذ مساراً متعدد السياقات، لكنه مزدوج الدلالة، في النهاية سنصل حتماً بعد هذا الإزدواج الدلالي إلى دلالة فارقة واحدة كما يظهر من خلال الشرح المبسط التالي:

العاشق الصوفي = البياتي الشاعر

يتحد مع يتحد مع

عين الشمس (المعشوقة)= القصيدة (معشوقة البياتي)

الدلالة الفارقة: الوصول إلى الله الدلالة الفارقة: تطهير القصيدة من كل عوالق الكتابة (الرقابة)

إن البياتي في قصيدته هذه، استطاع أن يخرج من التجربة الغنائية للقصيدة التقليدية، سيما وأنه وظف القناع الصوفي الذي استطاع من خلاله أن يعبر عن رؤياه الجديدة المعقدة تجاه قضايا الشعر وقضايا الإنسان (ثامر،1975م،14) برغم ما يلتبس القصيدة من غموض وغرابة في اللغة والمضمون.

إن شخصية محي الدين بن العربي التي يوظفها البياتي كقناع في هذه القصيدة،هي شخصية "مفهومية"، ونعني بذلك تلك الشخصية التي تصبح في القصيدة أصلاً لفلسفة الشاعر، أو بكلمات أخرى هي تلك الشخصية التي استطاع الشاعر من خلالها نقل فكرته، تلك هي الشخصية التي تحدث عنها (صبحي،1998م،64) من هنا نستطيع الافتراض أن قصيدة البياتي تأثرت من فكر الفلاسفة المحدثين أيضاً، كما تأثرت من فكر الفلاسفة القدماء.

وقد وظف البياتي في قصيدته هذه جملة من الأفكار الصوفية، سبق وأن ذكرنا بعضاً منها، لكن تتفرد في هذا الصدد فكرة صوفية وظفها البياتي فكرة وحدة الوجود، وهذه الفكرة بطبيعة الحال تشير إلى القناع ابن العربي، الذي يعتبر المؤسس لهذه الفكرة في الفكر الصوفي وإنه وإن كانت هناك أفكار سابقة لمتصوفة آخرين سبقوا ابن العربي في وحدة الوجود، إلا أنه يعتبر صاحب نظرة خاصة في هذه الفكرة (الزين،1988م،44) وتوظيف البياتي لفكرة وحدة الوجود إنما قد تشير لكونه صاحب نظرة خاصة تجاه الشعر، كما هي نظرة ابن العربي الخاصة في وحدة الوجود فكأن البياتي يقصد نفسه حين يتحدث عن ابن العربي،إن وعي البياتي لفكرة ابن العربي هذههذه، وللأفكار الصوفية عامة،

12

إنما تشير إلى وعي البياتي للفكر الصوفي، وفهمه لهذا الفكر بشكل يتجاوز السطح نحو الغور.

التناص الصوفي في العنوان في شعر البياتي:

يملك العنوان التأثير الأكبر في النص الأدبي، لا سيما أنه يخلق الانطباع الأول لدى القارىء (الماضي، 2005م،124) والبياتي وغيره من الشعراء الذين وظفوا الفكر الصوفي بداية في العنوان، يدركون هذه الحقيقة حول أهمية العنوان والعنوان له القيمة الأكبر في توضيح قيمة النص ومعناه، ليس فقط لأنه يضع النص ضمن سياق معين، إنما لأنه يخلق جهاز التوقعات عند القارىء لدى القارىء، والتناص في العنوان يحاور النصوص السابقة له زمنياً، يؤكدها، يدحضها، من هنا يضطلع العنوان في التفاعل مع النصوص السابقة، وبالتالي يشترك في إنتاجية المعنى (الجزار،1997م،67)

والعنوان يعين القارىء على تحديد هوية العمل الأدبي بشكل عام، والعنوان ليس مجرد عمل عرضي في النص، بل هو عمل أساسي في المنظومة الإستيتيقية الجمالية للنص (داغر،1987م،12) ويملك قوته الخاصة في قراءة النص والعنوان موضع اتصال كبير ونقطعة التقاء مهمة جداً يلتقي فيها الكاتب والقارىء والعنوان هو نص صغير يتموقع فوق النص الكبير، ويحيط المعنى العام للنص، بواسطة وسائل متنوعة مثل الإضافة، التلخيص، التمثيل، التركيز وغيرها.

وثمة أنواع للعناوين منها العناوين المؤشرة، حيث يكون هدفها الأول توجيه القارىء لإيجاد العمل المطلوب في فهرس الكتاب، ومنها العناوين الدلالية، حيث تشير هذه العناوين إلى مضمون العمل الأدبي كالقصيدة مثلاً، وبالتالي توجيه القارىء العنوان المتمم،وهو العنوان الذي لا يكتمل معنى القصيدة بدونه وهو جزء من القصيدة،

11

مضمون الإنتاج الأدبي، العنوان الساخر، وهو الذي يكسر أفق توقعات القارىء، العنوان المتمم، وهو العنوان الذي لا يكتمل معنى القصيدة بدونه وهو جزء من القصيدة، العنوان المحيط، حيث لا يلتزم بمضمون النص ويحوي بعض التعقيد، العنوان الاتجاهي، ويعكس موقف الكاتب بموضوع معين، العنوان الموجه، وهو يطرح سؤالاً مبدئياً أو يلخص أفكاراً، العنوان الإطار، وهو العنوان الذي يتطابق مع كلمات القصيدة، العنوان الداخلي، وهو العنوان الذي لا يمت للنص بصلة، العنوان الإهدائي،وهو العنوان الذي يكرس لإهداء شخص ما النص الأدبي (الماضي،2004م،56)

في قصيدة عين الشمس أو تحولات محي الدين بن العربي في ترجمان الأشواق للشاعر العراقي عبدالوهاب البياتي، نجد أن الإحالات الأولى للتناص تبدأ من العنوان، حيث يشير البياتي بوضوح إلى قصة المتصوف الشهير محي الدين بن العربي فيما يتعلق بأخبار كتابته لديوان ترجمان الأشواق، حيث قام محي الدين بن العربي بشرح الديوان بنفسه، وهذا الشرح ما يشير إليه البياتي بالتحولات (سنير،2002م،189) إذا البياتي يتناص منذ البداية القصة التاريخية لابن العربي مع ديوانه، عبر العنوان.

إن علينا أن نتذكر أن القصيدة في جوهرها (بدءاً في عنوانها) تأويل معاصر لتجربة المتصوف الكبير محي الدين بن العربي في ديوان ترجمان الأشواق الذي كتبه في التغزل بفتاة رومية، وقد أثار هذا الشعر خصوم الشيخ إلى حد اضطر معه إلى الامتثال لكل من بدر الحبشي أمير دمشق (ت 681هـ)، والشيخ إسماعيل بن سودكين أبو الطاهر الثوري الحنفي (ت

646 هـ) بأن يشرح الديوان مؤكداً إنما سلك طريق التغزل والتشبيب من أجل الحديث عن مقاصد ربانية وأسرار روحانية (سنير،2002م،169).

والعنوان في القصيدة يحتمل الكثير من التفسيرات والشروحات، فعبارة عين الشمس،التي يبدأ العنوان بها، تحيلنا كقراء إلى مدلولات كلمتي عين وشمس في المعجم الصوفي، فالعين هي عين الله وعين العالم، وهي إشارة إلى الإنسان الكامل، يقول: (القاشاني،1981م، مادة عين بدون صفحات) في العين: هو الإنسان الكامل، المتحقق بحقيقة البرزخية الكبرى، لأن الله تعالى ينظر بنظره إلى العالم، فيرحم به الوجود كما قال: لولاك لما خلقت الأفلاك، والإنسان المتحقق بالاسم البصير لأن كل ما يبصر في العالم من الأشياء فإنه يبصر في هذا الاسم.

ولفظة الشمس لها مدلولات صوفية أيضاً في هذا السياق، فهي النور أي الله، ويجعلها بعض المتصوفة كناية عن الروح، لأن الروح في البدن بمنزلة الشمس (أبو خزام،1993م،123) كل هذا يثبت تأثر البياتي بالمعجم الصوفي في قصيدته هذه. وعين الشمس هي محبوبة ابن العربي، والمكناة "النظام" وهي عند محي الدين بن العربي رمز للحقيقة الكونية الكبرى أو الله، وهي الواسطة للوصول إلى الله (المصدر السابق) إذاً العنوان يحيلنا مباشرة كقراء إلى محبوبة ابن العربي التاريخية، وإذا حاولنا تأويل هذه الخصوصية التي يفتتح فيها الشاعر قصيدته عبر العنوان، لقلنا إن ذلك لم يكن شيئاً عرضياً بل هو نتاج طبيعي لتأثر البياتي الشاعر بابن العربي في باب موضوع الحب، حيث يقول البياتي في الأوتو- بيروغارفيا: كان مفتاح دخولي إلى عالم ابن العربي هو الحب الذي كان يدعو إليه، وليس من باب الموت والشهادة (عوض،1999م، 78)

ويمكن تأويل تأثر البياتي بهذا الحب، بذكر عين الشمس في البداية، فربما أحالت عين الشمس إلى عائشة محبوبة البياتي (سنير، 2002م،34) فالمرأة لدى البياتي بشكل عام، وفي الكتابة الشعرية العربية الحديثة تشكل ازدواجية الآخر (ابن مسعود، 1994م، 90) فحين يرتبط ابن العربي بعين الشمس قبل مئات السنين في علاقة توحَد حب، يرتبط البياتي الآن بعائشة، كما يرتبط كل شاعر حداثي بمحبوبة يضمرها على طول قصائده (أبوحسين، 2005م، 234)

وكلمة تحولات في سياق العنوان، لا بد وأن تحيل مباشرة إلى تحول ابن العربي في موقفه مما كتب من غزل عادي في ديوانه، ليعيد شرحه على أنه غزل صوفي (سنير،2002م، 124) فكلمة تحول بمعناها القاموسي تعني الانتقال من مكان إلى آخر، وابن العربي ينتقل من حالة الغزل العذري إلى حالة الغزل الصوفي، وربما قصد البياتي بذلك تحولاً طرأ في حياته هو، أو إلى تحول في نظرته هو إلى ابن العربي، يقول البياتي في ذلك:

بعد مقتل أبي فارس وإعدام الحلاج وإحراقه، شعرت باليتم والغربة، خاصة وأن المعري قد غادرني، فكان لا بد من صديق، بدأت أبحث في العالم، وفي كتب التراث، ذات يوم في القاهرة، خطر لي أن اتصفح كتاب الفتوحات المكية من جديد أصبت بمس شعري هرعت إلى إعادة شراء كتاب ترجمان الأشواق والفتوحات المكية وكانت متيسرة في المكتبات آنذاك، لا يخاف منها أحد كما يخافون الآن، أعدت قراءة ابن العربي بقراءة واعية ممتعة، كنت أحس بارتياح شديد، وأنا انتقل من كلمة إلى كلمة ومن صفحة إلى صفحة، كانت عيني تلتهب، وأنا انتقل بين الصفحات وجدت ضالتي، توقفت شعرت أنني أدخل عالم ابن العربي، طفت معه حول الكعبة فيما وقعت عيناه على عين الشمس، بعد انتهائي من هذه القراءة، عدت إلى دمشق لزيارة قبره بالصالحية عند سفح جبل قاسيون، عند الضريح تسمرت حين وجدت إحدى حفيدات عين الشمس، تتبرك بضريح الشيخ الأكبر، كانت هذه الحفيدة،مطابقة في صورتها، لصورة جدتها التي وصفها محي الدين ابن العربي في ديوانه وفي قصائده (عوض،1999م، 282- 287).

في الحديث أعلاه ما يؤكد ربط البياتي – وعبر العنوان – الصوفية والتاريخ، بالحلم والأسطورة، وهذه الموضوعات تشكل موتيفاً متكرراً في الكتابة الشعرية الجديدة (سامي، 2001م،174) حيث يربط البياتي في هذا الصدد، _وعبر العنوان – قصة ابن العربي مع محبوبته وترجمانه "التاريخ"، مع التحول في تفسير ابن العربي "الصوفية"،بقصته مع الفتاة التي وجدها عند ضريح القبر"حلم وأسطورة".

على ضوء ذلك، يمكننا القول إن البياتي أراد بذلك أن التحولات التي عاشها ابن العربي، يعيشها هو اليوم: ومن هنا فإن القصيدة لا تقدم تحولات محي الدين بن العربي فحسب، وإنما تحولات عبدالوهاب البياتي أيضاً، وهذا الحكم يضعنا وجهاً لوجه، أمام مسألة العلاقة بين القصيدة والمادة التاريخية التي استمدت منها. إن هذه العلاقة تطرح واحداً من أعقد الإشكالات التي يواجهها النقد المعاصر (الشمعة،2002م،79).

الخاتمة

لقد وظف الشعر العربي المعاصر الفكر الصوفي، مصحوباً برموزه وأشخاصه وسيرهم الذاتية، تماماً كما فعل الشاعر العراقي عبدالوهاب البياتي في قصيدة عين الشمس. فقد وظف البياتي الفكر الصوفي الخاص بمحي الدين بن العربي الذي من خلاله حاول البياتي التعبير عن قضايا شخصية وأخرى ميتاشعرية. ومن خلال هذا السرد نخلص للنتائج الآتية:

1. فقد كان القناع وسيلة مناسبة للتعبير عن كل قضايا الشاعر وهمومه.
2. إن تجربة البياتي في قصيدته هذه، محاكاة لتجربة محي الدين بن العربي في ترجمان الأشواق.
3. تحدث البياتي عن علاقة ابن العربي بالله، ليشير إلى علاقته هو مع الشعر والقصيدة، فنلاحظ توظيف البياتي للأفكار الصوفية التي يشخصها المتصوفة من القرون الوسطى، كفكرة حدوث العالم بالولادة، توحد الواحد في الكل، اللاهوت والناسوت، هذه الأفكار التي وظفها البياتي أكدت وتؤكد فكرة حب الشاعر لقصيدته والتوحد بها.
4. إن البياتي في قصيدته هذه، استطاع أن يخرج من التجربة الغنائية للقصيدة التقليدية، سيما وأنه وظف القناع الصوفي الذي استطاع من خلاله أن يعبر عن رؤياه الجديدة المعقدة تجاه قضايا الشعر وقضايا الإنسان، برغم ما يلتبس القصيدة من غموض وإغراب في اللغة والفكرة.
5. البياتي حين وظف محي الدين بن العربي، قصد القول إن التحولات التي عاشها ابن العربي، يعيشها هو اليوم، ومن هنا فإن القصيدة لا تقدم تحولات محي الدين بن العري فحسب، وإنما تحولات عبدالوهاب البياتي أيضاً.

التوصيات:

يوصي الباحث بأن تكون هناك دراسات ذات عمق في علاقة الأدب بالتصوف وخاصة الرمزية عند الشعراء الصوفيين، لفك التعقيدات الرمزية وحملها علي حقيقتها دون تأويل.

قائمة المصادر والمرجع:

1. ابن العربي، محي الدين،ذخائر الأعلاق،شرح ترجمان الأشواق، بيروت: د.ن. 1312هـ.
2. ابن العربي، محي الدين،الفتوحات المكية، السفر الأول. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. (1972م.
3. ابن العربي، محي الدين، ترجمان الأشواق، ضبط نصوصه وقدم له،عمر الطباع، بيروت، دار الأرقم،1997م.
4. أبو حسين، محمد صبحي، صورة المرأة في الأدب الأندلسي. أربد عالم الكتب الحديث،2005م.
5. أبو خزام، أنور فؤاد، معجم مصطلحات الصوفية. لبنان: ناشرون.1993م.
6. بنمسعود، رشيدة المرأة والكتابة. ط.1، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.1999م.
7. البياتي، عبدالوهاب، مملكة السنبلة. ط.1 بيروت: دار العودة.1979م.
8. ثامر، فاضل، معالم جديدة في أدبنا المعاصر. العراق: منشوارت وازرة الإعلام.1975
9. الجزار، محمد فكري،العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي. القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب.1998م.
10. حيدر علي، مدخل إلى دارسة التصوف، ط.1، دمشق: الشموس للنشر.1999م.
11. داغر، شربل الشعرية العربية الحديثة، الدار البيضاء، دار توبقال.1988م.
12. درويش، أسيمة،تحرير المعنى، دارسة نقدية في ديوان أدونيس الكتاب 1، بيروت: دار الآداب.1997م.
13. الزين، عاطف سميح، ابن عربي. بيروت: دار الكتاب اللبناني.1988م.
14. سامي، سحر،التناص الديني في شعر محمود درويش، المختلف الحقيقي د ارسات وشهادات. رام الله: دار الشروق.1999م.
15. سنير، رؤوبين، تقنية القناع: دلالات الحضور والغياب، فصول،2002م.
16. الصايغ، عدنان النصار، عبدالوهاب البياتي ما يبقى من الطوفان، د.م: نادي الكتاب العربي. 1996م.
17. عوض، ريتا، جدلية التواصل والانقطاع، حوار الحداثة والتراث بين البياتي وابن العربي،1997م.
18. القاشاني، عبدالرازق، اصطلاحات الصوفية تحقيق وتقديم وتعليق: عبدالعال شاهين. ط.1، القاهرة دار المنار،1995م.
19. الماضي، ناريمان، العنوان في شعر عبدالقادر الجنابي. حيفا: جامعة حيفا.2005م
20. منصور، إبارهيم محمد،الشعر والتصوف، الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، طنطا: جامعة طنطا.1999م

المصادر الأجنبية:

1. *Elmor Geiald. The BluagDiwan of Ibn AL arabi.journal Arabic Lietrature.1998.*
2. *Hakki, Ismail, Translation of a commentary on fusus al hikam.London oxford university.1980.*
3. *Taha Ibrahim.The power of the title why have you Left the Horse Alone by Drawish Journal of Arabic and Islamic studies.2001.*

الإحالة ودورها في تحقيق التماسك النصي (خطبة حجة الوداع نموذجا)

إيمان عمر محمد جاد الله

جامعة الملك خالد

المستخلص:

تناولت الدراسة دور الإحالة بأنواعها في تحقيق التماسك النصي من خلال خطبة حجة الوداع التي ألقاها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في يوم عرفات بمكة المكرمة، وتهدف الدراسة إلى الكشف عما يتيحه النص من أسرار فنية لغوية ونحوية استنادا إلى أسس لغوية معينة، جاءت الدراسة في مبحثين، تناول الأول الإطار النظري، حيث عرفت فيه الباحثة الإحالة وأنواعها وأهميتها وأشكالها ووسائلها، أما الثاني فقد جاء لاستخراج عناصر الإحالة بأنواعها الثلاثة(الضمير، واسم الإشارة، واسم الموصول) ووضح الدور الذي تؤديه هذه العناصر في تحقيق التماسك النصي، وانتهجت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: أن من مميزات استخدام العناصر الإحالية اختصار الحيز النصي، مثل اختصار حجم النص، إحالة الضمير المستتر في النص وفي أغلب المواضع جاءت إحالة خارجية على عنصر غير موجود في النص، وللمتلقي أن يفهمه من السياق، أن الإحالة من أهم العناصر للترابط والتماسك النصي وذلك لأثرها الدلالي الواسع والذي يخرج خارج النص.

الكلمات المفتاحية: الترابط – الانسجام– الاتساق– الإحالة السياقية– خطبة حجة الوداع.– أدوات الربط.

Abstract

The study examined the role of referral of all kinds in achieving textual coherence through the sermon of the farewell pilgrimage delivered by the Messenger (may God bless him and grant him peace) on the day of Arafat in Makkah, to reveal the technical linguistic and grammatical secrets provided by the text based on specific linguistic foundations. The first was the theoretical framework, in which the researcher knew the referral, its types, importance, forms, and means, and the second came to extract the three types of referral elements (pronoun, noun, and noun of the connected) and clarified the role these elements play in achieving textual coherence. The study reached several results, the most important of which are: one of the advantages of using referral elements is to shorten the textual space, such as reducing the size of the text, referring to the hidden pronoun in the text, and in most places, an external referral came to an element not present in the text, and the recipient has the right to understand it from the context, and the referral is one of the most important elements of textual coherence and cohesion due to their broad semantic effect that comes out of the text.

Keywords: coherence - harmony - consistency - contextual referral - the farewell speech sermon - connectivity tools.

المقدمة:

قضية الترابط النصي ووسائله من الأمور التي انشغل بها علماء اللغة كثيرا؛ لأن الترابط يتآزر مع أنظمة نصية أخرى ليصل على ما يُطلق عليه كلية النص، فالروابط وسيلة مهمة من وسائل الحكم على النص، والإحالة موضوع البحث من أهم وسائل ترابط وتماسكه، وهي تُسهم في كفاءة النص بشكل واضح.

وتعد الإحالة من أكثر الظواهر اللغوية انتشارا في النصوص، فلا تكاد تخلو منها جملة أو نص، لأنها تقدم على التحكم في مسار النص مجبرة المتلقي على التنقل في فضاء النص، فهي من أهم معطيات النص التي تسهم في كفاءته، وما يُميزها عن غيرها من وسائل ربط النص أنها قادرة على صنع جسور كبرى للتواصل بين أجزاء النص المتباعدة والربط بينها ربطا واضحا.

فالإحالة تمزج بين الروابط المختلفة مثل الضمائر وأسماء الإشارة وأسماء الموصول وغيرها من الروابط.

أهداف البحث:

تهدف الدراسة وبشكل مباشر إلى دراسة أثر الإحالة وأقسامها (الضمير، اسم الإشارة، واسم الموصول) في ترابط النص وتماسكه من خلال خطبة حجة الوداع، بغرض الكشف عما يتيحه نص الخطبة من أسرار استنادا على أسس لغوية ونحوية موضوعية محددة.

أهمية البحث:

تفيد هذه الدراسة الباحثين وطلاب العلم في مجال الدراسات النحوية واللغوية والمكتبات، وتأتي أهمية الدراسة من خلال القيام على رصد ظاهرة لغوية نصية وتحليل عناصرها وبيان آثارها في حدود نص خطبة حجة الوداع وهي ظاهرة الإحالة، فقد توضح الدراسة عن دور الأدوات والعناصر الإحالية في بناء النص، ووصل النص اللغوي بالسياق وتسعى إلى فهم النص وتفسيره وما يرتبط به من مشكلات ودور القارئ في تحديد المعنى وتفسير عناصر النص في إطار وحدة كلية له.

منهج البحث:

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي المعتمد على التحليل وهو منهج يعتمد وسائل التعليل والتفسير.

أسئلة البحث:

يتفرع من مشكلة الدراسة عدة أسئلة، منها:

1. ما الإحالة؟

2. ما أهم أنواعها ووسائلها؟
3. فيما تتمثل أهميتها؟
4. تمثلاتها وآثرها في حجة الوداع؟

هيكل البحث:

قامت الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع، حيث بينت المقدمة أساسيات الدراسة. وجاء المبحث الأول إطاراً نظرياً، وقد وُسِمَ ب " ماهية الإحالة" وقد عرفت فيه الباحثة الإحالة وأقسامها وأهميتها وأشكالها ووسائلها.

وجاء المبحث الثاني: المعنون بمواضع الإحالة ودورها في خطبة حجة الوداع وقد طبقت للإحالة في خطبة حجة الوداع لمعرفة الدور الذي تؤديه الإحالة في ترابط النص وتماسكه وتشكيله.

المبحث الأول: الإطار النظري

لكل مصطلح معنيان، لغوي وآخر اصطلاحي، ولا يوجد ابتعاد أحياناً بين المعنيين فلربما نُقلت الدلالة اللغوية إلى الاصطلاحية.

أولاً: الدلالة اللغوية:

يقول ابن منظور:" المحال من الكلام: ما عدل به وجهه، وحوَّله: جعله محالاً، وأحال أتى بمُحال، ومِحَوال: كثير محال الكلام، ويُقال أحلت الكلام أحيله إحالة: إذا أفسدته، وروى ابن شيمل عن الخليل بن أحمد أنه قال:" محال الكلام لغير شيء.. والحوال كل شيء حال بين اثنين...، وحال الرجل بحول تحول من موضع إلى موضع وأحال الشيء حولاً وحؤولاً: مرّ عليه حول كامل وأحال الماء على الأرض صبه، وأحال فلان بالسؤال من ليس من عادته الإجابة، يُحيل إحالة، إذا خاطب الجماد أو العجماوات، كما يقول ابن منظور الإحالة مصدر أحال) (ابن منظور، لسان العرب، مادة ح و ل، ص1058).

وجاء في معجم العين: (وأحال عليه استضعفه، وأحال عليه بالسوط يضربه أي أقبل، وأحلتُ عليه بالكلام: أقبلت عليه، وأحال الذئب على الدم: أقبل عليه. وأحال الشيء إذا أتى عليه حول كامل، والحوّال كل شيء حال بين اثنين، وحال الشيء يحول حولاً في معنيين، يكون تغييراً ويكون تحويلاً..) (الخليل بن أحمد، كتاب العين، ص 185).

كذلك ورد في عدد من المعاجم الأخرى وهذه المعاجم لم تختلف أو تبتعد عن تعريف ابن منظور ومنها ما جاء في تاج العروس في مادة (حول):" حال إلى مكان آخر تحول" (تاج العروس، مادة ح و ل) وكذلك ما جاء في القاموس المحيط، والإحالة هي الإقبال على الشيء والميل إليه، يقال: أحال القديم: زجاه عنه إلى غريم آخر، والاسم الحوالة كسحابة. (الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة ح و ل، ص 1278)

وكلمة " أحال" تستعمل متعدية ولازمة؛ وإذا تعدّت فإنها تعني نقل الشيء من حال إلى حال أخرى، ونعني توجيه شيء أو شخص على شخص آخر لجامع يجمع بينهما، كما تجوز الدلالة بها على المعنى الاصطلاحي الذي يحيل فيه العنصر الإحالي على عنصر إشاري يفسره ويحدد دلالته.

وممَّا نجد معان الإحالة المعجمية نجد التحول، الصّب، الإفراغ، الإقامة، الإقبال، التغيير، والتحويل وغيرها.

ثانياً: الدلالة الاصطلاحية

لنا أن نقول إن المصطلح قديم حديث، وحداثته تأتي من التوسع فيه وفي تطبيقاته في لسانيات النص.

أولاً عند العرب:

تحدث سيبويه عن الإحالة بقوله:" والروابط المتعددة والروابط الإحالية تخصيصاً هي قسم لإيجاد الانسجام والاتحاد بين عناصر النص، والمقصود بالعناصر الإحالية الضمائر وأسماء الموصول و أسماء الإشارة، أي عنصر يحتاج إلى مفسر يوضحه ويبين معناه، وقد كان للنحاة الأوائل وقفة عند هذه العناصر الإحالية" (سيبويه، الكتاب، ص 395).

كذلك استخدمها سيبويه في باب الاستقامة من الكلام والإحالة، حيث قسم في هذا الباب الكلام إلى خمسة أقسام هي: المستقيم الحسن، والمحال، والمستقيم الكذب، والمحال الكذب، والمحال عنده أن تنتقض أول كلامك بآخره.

أما عند الأخفش المحال هو: ما لا يصلح له معنى ولا يجوز أن تقول فيه صدق ولا كذب، لأنه ليس له معنى. فالكلام المحال ليس فيه خطأ في التركيب، وإنما يأتيه الوصف بالإحالة من كسر الاختبار في المستوى المنطوق. (محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي،84)

أما عبد القاهر الجرجاني: لم يفرد باباً للإحالة كما أفرد باباً للوصف ولكنه يقول عنها: (وضربٌ آخر من الكلام أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدُلك اللفظ على معنى يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض). (عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح عبد المنعم خفاجي،

ص288). نجده عرض هذه الأداة عرضاً سريعاً يرى بأن الإحالة من الأدوات التي يؤدي استخدامها إلى تحسين الكلام ولا يقتصر دورها على الربط، وتعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين عناصر النص، ويمكننا القول بأنها من الأدوات المهمة جدا في عملية الربط بين الأجزاء مما يؤدي إلى تكون علاقة بين الجزء الآخر.

أما الأزهر الزناد فيعرفها بقوله:" قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود إلى عنصر أو عناصر أُخرى مصورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر"(الأزهر الزناد، نسيج النص، ص118). نجده لم يأخذ بعين الاعتبار التكلم وهو المتكلم، وإنما ركز على وجود النص الذي هو شرط أساسي لوجود الإحالة، وأكد أن هذه الأدوات ليست لها معنى في ذاتها.

أما محمد الخطابي فيقول:" وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل وإنما تحيل إلى عنصر آخر، ولذا تسمى عناصر محيلة، مثل: أسماء الإشارة والأسماء الموصولة". (محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص17). والذي نفهمه من تعريفه أن عناصر الإحالة نوع من أنواع الألفاظ ليست لها دلالة مستقلة وتحتاج إلى مفسر يوضحها، وإنما تظهر دلالتها في انسجام واتحاد عناصر النص فشرط وجودها هو النص.

ثانيا: الغرب:

عرفها جون ليونز:" بأنها العلاقة بين الأسماء والمسميات علاقة إحالة فالأسماء تُحيل إلى المسميات" (جون ليونز، تحليل الخطاب، ترجمة لطفي الزليطي ومنير تركي، ص36).

أما بول براون فعرفها في تحليل الخطاب حيث قال:" الإحالة ليست يقوم به تعبير ما ولكنها شيء يمكن أن يحيل عليه شخص باستعماله تعبيراً معيناً" (بول بروان، تحليل الخطاب، ص36) ونظنه أدق تعريف للإحالة.

وقال كلماير في سياق حديثه عن الإحالة بأنها:" العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه (عنصر علاقة) وضمائر يطلق عليها (صيغ الإحالة)". (كلماير، دراسات لغوية، ص82)

وعرفها دي بوجراند بأنها:" العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العلم الخارجي الذي تشير إليه العبارات" (روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ص172).

كما ذهب هاليدي ورقية حسن إلى أن الإحالة علاقة دلالية لا تخضع لقيود نحوية، بل تخضع لقيد دلالي، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال عليه" (محمد خطابي، لسانيات النص، ص17).

من كل هذه التعاريف السابقة يمكن للباحثة أن تربط بين الدلالة اللغوية والاصطلاحية حيث إن الإحالة: هي عبارة عن علاقة بين عنصر لغوي وآخر داخل النص أو خارجه بحيث يتوقف فهم العنصر الأول على العنصر الثاني، وتركز الإحالة على العلاقات اللغوية في النص، وأن دورها في النص هو تجنب التكرار وخلق العلاقة الدلالية بين الجمل والفقرات.

أقسام الإحالة:

ويعد النحو أحد هذه الأنظمة اللغوية الذي يشكل عناصر التركيب التي تمثل أسس التماسك الذي يقتضيه النص، وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين: الإحالة الخارجية (المقامية)، والإحالة الداخلية (النصية)، وتتفرع عنهما بقية الأنواع التي سنذكرها.

أولا: الإحالة الداخلية (الإحالة داخل النص أو داخل اللغة): Endaphara: وكذلك يُطلق عليها النصية(Textual) وتنقسم إلى قسمين:

1. إحالة على سابق وتسمى (قبلية) Anaphora: وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر متقدم عليه، وهي ضرورية ليكون النص منسجماً مع مقامه، وبه يتحقق القبول، وهذا النوع من الإحالة تحقق استمرارية المعنى داخل النص او الخطاب كما تعمل على تكثيف اهتمام المتلقي وتساعد في حث القراء على مواصلة القراءة وهي أكثر الأنواع وقوعاً في الكلام.(عزة شبل، علم اللغة النصي "النظرية والتطبيق"، ص120)
2. إحالة على لاحق وتسمى(بعدية) Cataphora: وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص، وفيها يحيل عنصر متقدم على عنصر متأخر، وهو أكثر أهمية من النوع الأول لأنها تلعب دوراً فعالاً في تحقيق ترابط النص، وهذا النوع من الإحالة يثير القارئ شوقاً وتوقع معلومة جديدة نتيجة ابتعاد العنصر المحيل عن العنصر المحيل إليه، وفي هذا يُعد ضمير الشأن أبرز أبواب النحو العربي توضيحاً لها وغالبا ما تقع الإحالة البعدية في الجمل التفسيرية التي تفسر جملة أو عبارة كما في أسماء الصور والجمل الأولى منها.(صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص40)

إذاً كل من الإحالة القبلية والبعدية لهما أهمية تؤديان دوراً كبيراً في ترابط النص الداخلي والانسجام. أما دورها في تماسك النص يكمن في ربط أجزاء النص وتلاحم بعضه ببعض فتجعل منه كتلة واحدة متكاملة الأجزاء (محمد خطابي، لسانيات النص، رقم الصفحة).

ثانيا: الإحالة خارج النص أو خارج النص Exophora ويُطلق عليها (المقامية) Situational

عرفها أحمد عفيفي بأنها: الاتيان بالضمير للدلالة على أمر غير مذكور في النص مطلقا" (الأزهر الزناد، نسيج النص،ص118) والذي يفهم أن الإحالة الخارجية تأتي عندما يحيل عنصر في النص إلى شيء خارج النص يدركه المتلقي وهي تمكن من فهم غموض النص، وهي تُمكِن المستمع والقارئ من فك رموز النص المغلقة بالاستعانة بما يقتضيه المقام. أما دورها في تماسك النص فيسهم في خلق النص لكونها تربط اللغة بسياق المقام إلا أنها تساهم في تماسك النص بشكل مباشر، وتساعد في إنتاجه لأنها تربط اللغة بسياق المقام، كما أنها تعمل على تأطير عالم النص وذلك عندما تحيل مكوناته إلى مقامات خارجية بينها قواسم مشتركة.

أما هاليدي ورقية حسن فقد صنفا الإحالة إلى:

أ/ الإحالة الشخصية Personal Reference ويتم هذا النوع من الإحالة بالضمائر وتنقسم الضمائر إلى:

1. ضمائر وجودية، مثل: أنتَ، أنتِ، أنتما، هو، هي.
2. ضمائر ملكية، مثل: لي، لكَ، لكِ، لهم، لنا.

الضمائر تجعلنا نفرق من خلالها بين أدوار الكلام التي تضم جميع ضمائر المتكلم والمخاطب، وهي بطبيعة الحال إحالة خارج النص، فالمتكلمون عادة في أحاديثهم يستعملون الضمائر في الإشارة إلى أنفسهم أو إلى مخاطب دون ذكر أسمائهم، وبذا تكون إحالة هذه الضمائر مقامية إذا سجلت هذه الحوارات وليس بالإمكان أن تكون إحالة قبيلة إلا في النص المكتوب؛ لأنه يحتوي في مكان ما من المكتوب على أسماء أو غيرها تمكن القارئ من إيجاد علاقة بين الضمائر الموجودة في المكتوب.(عبد الحكيم عبد الخالق، بحث الإحالة ودورها في تحقيق الترابط النصي، ص8)

ب/ الإحالة الإشارية Demonstrative Reference يتم هذا النوع بأسماء الإشارة مثل:(هذا، هذه، هؤلاء....) وهذا النوع من العناصر الإحالية بإمكانها الإحالة على جملة كاملة أو فقرة كاملة (الإحالة الموسعة).

3. الإحالة المقارنة Comparative Reference وقد صنف هاليدي ورقية هذا النوع إلى صنفين:

أ/ عام: ويشمل التطابق، ويكون في المفردات مثل: شبه مساوٍ للتطابق، مطابق تقريباً، والتشابه، ويكون في مفردات مثل: يشبه إلى حد ما.....، والاختلاف ويكون في مفردات مثل: إلى حد ما، ومختلف حد كبير. (K. Halliday and 33Ruqaiya, Cohesion English,p)

ب/ خاص وينقسم إلى:

i. كمي، ويكون في مفردات مثل: أقل، أكثر.

ii. نوعي، ويكون في الصفات والظروف المقارنة، مثل: الأفضل، الأكثر...(, Cohesion,p33 English)

وهذه الألفاظ تقوم بما تقوم به المضمرات وأسماء الإشارة، فهي بدورها تحيل على سابق لاحق.

أهمية الإحالة:

تأتي أهمية الإحالة في التعامل مع النصوص، من وجود بعض العناصر اللغوية التي لا تكتفي بذاتها في دلالتها، مما يجعل الضرورة العودة إلى ما تشير أو تحيل عليه من أجل تأويلها، ويطلق اللغويون على هذه الوحدات اللغوية تسمية العناصر الإحالية فمن هذه العناصر أسماء الإشارة وأسماء الموصول وغيرها. (سمير كبريت، المرشد الأدبي للمراحل الجامعية،ص27) حيث تعد العلاقة الدلالية مميزة للنص باعتباره وحدة دلالية، كما أنها من أهم الوسائل المتعددة لسبك العبارات لفظياً دون تكرار لتلك المعلومات فهي قادرة على الربط بين أجزاء النص الداخلية والخارجية، ومن هنا يمكن تلخيص أهمية الإحالة في الآتي:

1. أداة اقتصادية في الكلام أو اللغة.
2. تؤدي وظيفة الاستمرارية في المعنى.
3. تُثير اهتمام المتلقي وتساعد في حثه على مواصلة القراءة.
4. ربط النص بالمقام أي العالم الخارجي.
5. تحقق الدقة الدلالية، حيث يشير اللفظ الكنائي إلى ذات أو معنى أو شيء سابق دون تكراره.

وسائل الإحالة:

وهي العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما يشير من أجل تأويلها حيث تتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تمتلك خاصية الإحالة حسب رأي هاليدي ورقية حسن وهي: الضمائر، أسماء الإشارة، أسماء الموصول، إضافة إلى أدوات المقارنة. (كريمة سبوعي، البنية الإحالية في خطبة حجة الوداع للرسول، ص 49) والذي نفهمه أن وسائل الإحالة هي الضمائر، أسماء الإشارة، أسماء الموصول، إضافة إلى أدوات المقارنة.

المبحث الثاني: تمثلات الإحالة في خطبة حجة الوداع

ألقى النبي صلى الله عليه وسلم خطبته الشهيرة (حجة الوداع) في حجته الوحيدة التي ودع فيها المسلمين وقوى حبالهم بالله ويثبتهم على الدين الإسلامي، والتي ألقاها في يوم عرفة على جبل الرحمة في العام العاشر من الهجرة، ولم تمضِ بعد هذه الحجَّة إلا بضع وثمانون يوماً وتوفي الرسول صلى الله عليه وسلم، ولهذا كانت حجَّته حجَّة الوداع.

نص خطبته صلى الله عليه وسلم:

((الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونَستغفِره ونتوب إليه، ونعوذ بالله مِن شرور أنفسنا، ومِن سيئات أعمالنا، مَن يَهدِ الله فلا مضلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثُّكم على طاعته، وأَستفتِح بالذي هو خير، أما بعد، فأيها الناس، اسمعوا مني أُبيِّن لكم؛ فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

فمن كانت عنده أمانة فليؤدِّها إلى الذي ائتمنه عليها، وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربًا أبدأ به ربا عمِّي العباس بن عبدالمطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أبدأ به هو دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة، غير السدانة والسقاية، والعَمْد قَودٌ، وشِبه العمد ما قتَل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير، فمَن زاد فهو مِن أهل الجاهلية.

أيها الناس:

إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيها الناس:

إن النسيء زيادة في الكفر، يُضلُّ به الذين كفروا، يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا ليُواطؤوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله تعالى، إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله -تعالى- السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله -تعالى- يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم؛ ثلاثة متواليات وواحد فرد، ذو القعدة وذو الحجَّة والمحرَّم، ورجب الذي بين جُمادى وشعبان، ألا هل بلغتُ؟ اللهم اشهد.

أيها الناس:

إن لنسائكم عليكم حقًّا، ولكم عليهنَّ حقًّا؛ لكم عليهنَّ ألا يُوطِئنَ فرُشَكم غيركم، ولا يُدخلنَ أحدًا تَكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يَأتين فاحِشةً مُبينة، فإن فعلْنَ فإن الله قد أَذِن لكم أن تَعضلوهن وتَهجُروهن في المضاجع وتضربوهنَّ ضربًا غير مُبرِّح، فإن انتهَين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، ألا وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهنَّ شيئًا؛ أخذتموهنَّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهنَّ خيرًا، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس:

إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئ مسلم مالُ أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغتُ؟ اللهم اشهد.

فلا ترجعوا بعدي كفارًا يَضرب بعضكم رقاب بعض؛ فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تَضلوا بعدي، كتاب الله وسنتي، ألا هل بلغتُ؟ اللهم اشهد.

أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم مِن تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير، وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغتُ؟ اللهم اشهد.

قالوا: نعم، قال: (فليبلغ الشاهد الغائب)

أيها الناس:

إن الله – تعالى – قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، فلا تجوز لوارث وصية، ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، مَن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنه الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبَل منه صرف ولا عدل، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته(. (أبو عثمان عمر بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون، ص 31)

أولا: دور الإحالة بالضمائر في التماسك النصي:

الضمائر: عناصر لغوية تحتاج إلى مفسر تعود عليه يوضحها ويكشف مدلولها، وهي أكثر العناصر الإحالية فعالية في تماسك النص، وذات مدى بعيد وتؤدي دوراً بارزاً في ربط أجزاء النص ببعضها البعض، فإذن ما الضمير؟ وما أنواعه؟ وما دوره الإحالي في تماسك خطبة حجة الوداع؟

الضمير هو: (ما وُضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب نحو: أنا، أنت، هو...الخ) (جرجي شاهين عطية، سلّم اللسان في الصرف والنحو والبيان، ص167) وهو نوع من أنواع المعرفة ويعدها النحاة أعرف المعارف، وهي مبنية لشبهها بالحرف لذلك لا تُثنى ولا تصغر ولا تُجمع. ويقول تمام حسان:" الضمير بأنواعه الثلاثة متكلم مخاطب غائب، اسم جامد مبني لا يُثنى ولا يُجمع، وإنما يدُلُ بذاته وتكون صيغته على المفرد بنوعيه (المذكر و المؤنث) أو على المثنى أو على الجمع بنوعيه). (تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص108)

أنواع الضمائر:

تتفرع الضمائر في اللغة العربية إلى ضمائر حضور وضمائر غيبة وتتفرع ضمائر الحضور إلى متكلم ومخاطب، وضمير متكلم ويعد مركز المقام الإشاري وهو الباث، أما ضمائر الغيبة فمعيار التفصيل فيها لا يتجاوز الجنس والعدد، وضمائر الحضور أكثر تفصيلا من الغياب، وهذا يرتبط بأولوية المشاركة في عملية التلفظ. (الأزهر الزناد، نسيج النص، ص17) يمكن القول إن الضمائر تصنف إلى ظاهرة ومستترة والظاهرة إلى متصلة ومنفصلة ومن حيث المدلول تصنف إلى غيبة وحضور، ومن حيث الجنس إلى مذكر ومؤنث ومشترك، ومن حيث العدد إلى مفرد ومثنى وجمع.

وبعضهم قسمها إلى قسمين آخرين:

1. وجودية، مثل: أنا، أنت، نحن.
2. ملكية، مثل: قلمي، بلدي، كتبي.

وتكمن أهمية الضمائر في كونها تنوب عن المظهر من الأسماء والعبارات والجمل، وتقوم الضمائر بأكثر أدوار الإحالة.

وفي خطبة حجة الوداع غلب الإحالات النصية وخصوصاً على سابق لكون هذا العنصر أكثر انتشاراً في معظم النصوص، وباعتبار الضمير أكثر الوسائل الإحالية انتشاراً فقد ساهم بدور كبير في تماسك النص، فكان ما رجع منه على سابق، وهناك ما يرجع إلى كلمات وجمل وفقرات، وأغلب الإحالات في النص هي الضمائر، فما دور الضمائر في تماسك النص؟ وكيف أسهمت في تماسك النص ؟

دور الإحالة بالضمائر في تماسك النص:

تعتمد الباحثة على تقسيم نحوي أورده غيرها في مؤلفاتهم منهم تمام حسان وغيره:

أولاً: الضمائر الظاهرة في النص: تنقسم إلى:

أ/ ضمائر الرفع الظاهرة المنفصلة:

تكاد تخلو الخطبة من الضمائر المنفصلة، عدا ضمير واحد وهو (هو) الذي يُستعمل للمفرد المذكر وتنوعت الإحالات به بين إحالة داخلية وخارجية وبعيدة وقريبة المدى وتفوقت قريبة المدى على بعيدة المدى، ووردت في ثلاثة مواضع في نص الخطبة، وعلى الرغم من قلتها إلا أنها ساهمت في ترابط النص وتماسكه، وهذا يوحي بترابط موضوعات النص وتسلسلها وينتج عن ذلك قوة دلالية في معانيها وسهولة في توصيل الأفكار للمتلقي.

وتوزع هذا الضمير في الخطبة على النحو الآتي:

1. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في المقطع الأول: " استفتِح بالذي هو خير" وترجع الإحالة هنا إلى(خير) وهي إحالة داخلية بعدية قريبة المدى.
2. في قوله (صلى الله عليه وسلم): في المقطع الثاني" أول دم أبدأ به هو دم عامر بن ربيعة" يرجع الضمير هنا إلى(عامر بن ربيعة) وهي إحالة داخلية بعيدة المدى.
3. وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام في المقطع الثالث:" فمن زاد فهو من أهل الجاهلية" الإحالة هنا مختلفة عن سابقاتها حيث أنها إحالة خارجية تُفهم من السياق راجعة إلى (أحد المؤمنين).

ب/ ضمائر الرفع المتصلة الظاهرة:

وجود هذه الضمائر في الخطبة جعل التماسك فيها واضحاً، ويظهر ذلك في الترابط بين الألفاظ والعبارات الواردة في الخطبة، بحيث يجعل منها موحداً ببدايتها مترابطاً بنهايتها، أول هذه الضمائر (واو الجماعة) ورد في النص في ستة عشر موضعاً متمثلة في قوله: (اسمعوا، كفروا، يحلوا، يحرمون نجد إحالتها قبلية عائدة على الناس ومداها قريب، تلقوا، تظلمون، تحتقرون، احذروا، يحرمون، يحرموا، تكرهون، يواطئوا، استوصوا، ترجعوا، تضلوا، قالوا، تضربوا: نجد جميعها إحالتها داخلية قبلية عائدة على الناس بعيدة المدى) ترى الباحثة أن هذا الضمير في أغلب هذه المواضع إحالته إحالة خارجية إلى لفظ خارج النص، وهذا يدل على الترابط بين الألفاظ والعبارات والجمل داخل النص وهذا الترابط من بداية الخطبة وحتى نهايتها على الرغم من مواضيع الخطبة المختلفة.

ثانياً: نون النسوة:

ورد هذا الضمير في عدة مواضع من الخطبة تمثلت في قوله:(يواطئن، يدخلن، يأتين، فعلن، تهجروهن، تضربوهن، انتهين، رزقهن، كسوتهن، أنفسهن، فروجهن، أخذتموهن)، والإحالة به إحالة قبلية بعيدة المدى عائدة على النساء، حققت الإحالة به ترابطاً تجاوز كل جملة ببعضها إلى تلاحم أجزاء هذه الفقرة كلها وترابطها، فكانت وحدة نصية كلية مترابطة.

ثالثاً: ضمائر الجر الظاهرة:

أ/ من الضمائر المتصلة ضمائر الجر الظاهرة:

جاء هذا العنصر الإحالي في مواضع عدة وفي مجملها أدت إلى ترابط النص وتماسكه.

1. ضمير الغيبة (الهاء) وجاء هذا الضمير في عدة مواضع وهي: (عبده، ورسوله) الإحالة بضمير الغيبة إحالته إحالة نصية داخلية قبيلة قريبة المدى راجعة للفظ الجلالة.

(له) من قوله (فلا مضل له، ولا هادي له) إحالة الضمير هنا خارجية عائدة للمؤمن (عنده) إحالة الضمير هنا خارجية راجعة إلى أحد المؤمنين. أما (به) فقد تكرر هذا مرتين فأحدهما كانت إحالته داخلية قريبة المدى راجعة للدم في قوله (أول دم أبدأ به) أما الثانية كانت الإحالة داخلية بعيدة المدي راجعة للربا، فنجده يحيل إلى الأعمال الضرورية التي يجب أن يسعى المؤمن إلى الالتزام بها، وهي إحالة مقامية (فيه) الإحالة فيه داخلية قبلية بعيدة المدى عائدة إلى القتل شبه العمد.

2. ضمير المخاطب (الكاف)

ورد هذا العنصر الإحالي في الخطبة في عدة مواضع وفي جميع المواضع كان مرده للمخاطبين الذين يخاطبهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) موجهاً وناصحاً، ويظهر هذا العنصر الترابط والتماسك النصي في الخطبة ويظهر هذا من خلال تحليله، (لكم، دمائكم، أعراضكم، عليكم، يومكم، ربكم، شهركم، بلدكم، أموالكم، أرضكم، أعمالكم، دينكم، منكم، بيوتكم) الضمير في هذه المواضع إحالته داخلية قريبة المدى راجعة للناس وكما ذكرنا من قبل أن هذا العنصر مرده للمخاطبين، ونجد إحالة الضمير هنا حققت التماسك النصي للخطبة من خلال ما أحال إليه.

رابعاً: ضمائر النصب:

وردت الإحالة بضمير المخاطب في عدة مواضع داخل الخطبة وأول موضع في النص في قوله: (نحمده ونستعينه ونستغفره) الضمير المشترك بين الأفعال في محل نصب على المفعولية، وإحالة (الهاء) هنا لا تحتاج إلى البحث عن متقدم أو متأخر لأنه بالرجوع إلى مقدمة الخطبة نجد أن لفظ الجلالة قد ذكر في أولها وهذا يعني أن الإحالة هنا داخلية بعدية وبعيدة

المدى. (احذروه) من قوله: (فاحذروه على دينكم) جاء الضمير منصوب على المفعولية وأن إحالته داخلية عائدة إلى الشيطان وأنها بعيدة المدى، أما في (يحلونه) كذلك كانت الإحالة داخلية ولكنها قريبة المدى وعائدة إلى الكفار، وفي جملة(يحرمونه) التي ورد فيها الضمير منصوب على المفعولية وإحالته داخلية قريبة المدى عائدة للنسئ، (هيئته) الإحالة هنا داخلية قبلية قريبة المدى عائدة على الزمان، أما في (تكرهونه) نجد الإحالة هنا خارجية.

من ضمائر النصب المتصلة التي كان لها دور في تماسك النص ضمير المخاطب الملحق بميم الجمع في قوله: (أوصيكم بتقوى الله، وأحثكم)، (أوصيكم و أحثكم، ألقاكم، أكرمكم، اتقاكم) نجد الإحالة هنا خارجية على عنصر خارج النص وهي إحالة مقارنة، فالضمير (الكاف) مبهم إلا أن هذا الإبهام قد زال حينما أحال الضمير إلى(المخاطبين)، ونجد أن الإحالة النصية في هذا الضمير تعود على المتكلم مستعملاً ضمير المخاطب المتصل (الكاف) فهو أداة ربط أحدثت ترابطاً وتماسكاً في النص، فضمائر النصب المتصلة لها أثر واضح في تماسك الخطبة فقد عملت على ربطها وإحداث التماسك فيها من خلال استحضار عنصر متقدم في خطاب سابق أو خطاب لاحق، مما جعل الخطبة متماسكة بواسطة خيط معنوي جعلها متلاحمة، وكل هذه الإحالات ساهمت في ربط أجزاء الخطبة من جهة ومن جهة أخرى ساهمت في ربط البنية الكلية للخطبة، مما قد ساهم في تحقيق الفهم عند المتلقي.

نجد هذه الضمائر قد حققت التماسك في النص، كما أسهمت في ربط الجمل دلالياً، إذن فوظيفة الإحالة بالضمير لا تقتصر على الاتساق الشكلي بين الجمل فقط بل هي علاقة وظيفتها الأساسية دلالية، إذ أن الضمائر تقوم على ربط الدلالات المتناثرة للجمل.

خامساً: الضمائر المستترة:

شكّل الضمير المستتر ربطاً دلالياً في النص، فقد ربط الجمل المكونة لها، فجاءت الخطبة مترابطة ومتماسكة، فالضمير المستتر من العوامل المهمة في ربط الجمل ببعضها البعض، فقد ورد في عدة مواضع سنذكرها مع تحليلها وهي كالآتي: (نحمد، نستعين، نتوب، نعوذ، نبدأ) العنصر المحيل هو الضمير المستتر (هو) وأن الإحالة خارجية عائد إلى الرسول (عليه الصلاة والسلام) والمؤمنين، نلاحظ في هذا الجزء من الخطبة أن الإحالة خارجية وهو أمر قليل الورود؛ لكون هذه الجمل عبارة عن تمهيد للموضوع الأساسي لذلك أغلب المحيلات إلى خارج النص من بينها شخصية الخطيب الذي لم يُعرف نفسه وهو (النبي) لأن هذا الجزء ارتكز حول عبادة الله سبحانه وتعالى، أما في (أشهد، أوصي، أحث، استفتح، أبين،

أبدأ) العنصر المحيل هنا هو الضمير المستتر (أنا) وإحالته إحالة خارجية عائد إلى الرسول (عليه الصلاة والسلام)، وفي(مسترضعا) العنصر المحيل هو الضمير المستتر (هو) و إحالته إحالة داخلية قبلية ذات مدى بعيد، أما (يئس، يعيد، رضي، يطاع)، فمثلاً (يئس) نجد الضمير المستتر(هو) الناتج عن الفعل الماضي(يئس) شكّل إحالة داخلية قبلية نتيجة إحالته للشيطان، وكذلك بقية الأفعال(يعيد، رضي، يطاع).

نجد الإحالة بالضمير المستتر هي إحالة خارجية إما أن تكون عائدة إلى الله أو الرسول أو المؤمنين، ونجد أن الإحالة الخارجية قد اعتمدت في مرجعيتها على سياق الحال وهذا الفرق بين الداخلية و الخارجية، فكثرة اعتماد الرسول عليه الصلاة والسلام على الشرح والتوضيح كان لابد من كثرة هذه الروابط لتسلسل الأفكار وعدم تنافرها، وهذا يدل على تماسك النص شكلياً ودلالياً وجمالياً، والإحالة الخارجية تعتمد على التأويل الذي يؤدي بالسامع للفهم وبالتالي الدخول إلى غرض الخطبة ونجد هذا قد تحقق بالضمير المستتر وأدى هذا إلى ترابط النص والتحام كل جمله بعضها ببعض إلى تلاحم أجزاء الخطبة كلها وترابطها، فكانت وحدة نصية كلية مترابطة من أولها إلى آخرها.

كل هذه الضمائر المحيلة داخلياً وخارجياً، قد ساهمت مساهمة كبيرة في ربط جمل الخطبة، وهذا من خلال السياق العام لها يظهر هذا أكثر عند معرفتنا أن الضمائر تعمل على شدّ انتباه السامع والمتلقي من توالي الجمل، مما يجعل الخطبة وغرضها تصل بسلاسة، فلهذه الإحالة شأن آخر في مجال الربط وهو التذكير بعنصر آخر من عناصر الجملة حتى يحدث الترابط بين جملتين، ومن ثم تتحقق لُحَمَةُ النص ونسيجه.

سادساً: الإحالة باسمي الإشارة والموصول ودورها في التماسك النصي:

أ/ أسماء الإشارة:

أسماء الإشارة مبهمة؛ وذلك لأنها لا تخص شيئاً دون شيء، كما لا يلزمها البيان عند الالتباس، وعدها النحاة من الحروف، ودلالة ذلك ثبوت النون معها كما في (ذانك، وتانك) فلو كانت أسماء لوجب حذف النون وجُرت بالإضافة، وقد ربطت أسماء الإشارة بالحروف وقد انتبه العلماء إلى وظيفتها في الاستعمال، فقد تكون بديلاً مفرد أو جملة أو نص، وتشترك مع ضمير الغيبة غالباً لتشكل حكماً في قضية سابقة، وتستخدم في التكثيف إذ إنها تشير إلى عدد كبير من الأحداث فتفيد الاختصار والبعد والتكرار.(الإحالة ودورها في تحقيق الترابط النصي(خطبته (صلى الله عليه وسلم) أول جمعة صلاها بالمدينة، عبد الحكيم عبد الخالق الحسن سيد أحمد، ص376).

من المعروف أن أسماء الإشارة أوسع دلالة من المضمرات، وتشاركها في الإحالة، مما يتيح قوة في الترابط على مستوى اللفظ والمعنى، وأسماء الإشارة عادة تعتمد على الجانب السياقي من معنى الوحدة الكلامية، فهي العلاقة القائمة بين المتحدث وبين ما يتحدث عنه في مناسبات معينة. (جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب، ص243-244).

تقوم أسماء الإشارة بالربط القبلي والبعدي، وهي تقوم بشتى أصنافها بالإحالة القبلية، بمعنى أنها تربط جزءاً لاحقاً بجزء سابق ومن ثم تُسهم في اتساق النص، لذلك لاقى اسم الإشارة اهتماماً كبيراً في الدرس اللساني الحديث، خاصة في التماسك النصي بين الأجزاء النصية.

وأسماء الإشارة الواردة في النص قليلة جداً ورغم ذلك أفادت في تماسك وترابطه النص، ومن صورها اسم الإشارة (هذا) وقد تكرر مرتين (في عامي هذا في موقفي هذا) تحيل إلى لفظ (العام هو العام التاسع من ذي الحجة) والثانية تحيل إلى لفظ (الموقف وهو جبل الرحمة في مكة المكرمة) حيث شكل إحالة إشارية داخلية قبلية، كذلك في قوله: (في يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا) نجد اسم الإشارة المفرد المذكر تكرر هنا ثلاث مرات، كما استخدم اسم الإشارة للمفرد المؤنث (هذه) مرة واحدة في قوله: (في أرضكم هذه) وكانت إلى محيل مذكور سابقاً فالإحالة هنا داخلية قريبة المدى. والملاحظ أن السياق هنا له دور مهم في تفسير الكلام وأن أسماء الإشارة عملت على الربط القبلي والبعدي وهذا ساهم في تماسك النص وانسجامه. إذن الإحالة الإشارية أقامت شبكة من العلاقات الداخلية التي عملت على إيجاد نوع من الاتساق والانسجام بين أجزاء الخطبة.

ب/ الإحالة بأسماء الموصول:

استخدم الرسول (صلى الله عليه وسلم) أسماء الموصول، باعتبارها وسيلة للتعبير عن مقاصده، فأسماء الموصول مبهمة تحتاج إلى صلة والصلة تعين المدلول، ويفسر الاسم من خلال صلته، فيصبح بذلك معرفة، قد تقع جملة أو شبه جملة، فالاسم لا يتم بنفسه ويفتقر إلى كلام بعده ليصير جزء الجملة، ولابد من العائد الذي يعود على الموصول، ويربط الصلة بالموصول الضمير المطابق في اللفظ والمعنى في حالة الاختصاص، وقد يطابق هذا الضمير ما يقوم مقام الموصول خاصة إذا كان خبراً أو صفة كالمبتدأ أو الموصوف أو جملة الصلة خبرية (رضا الدين الاستراباذي، شرح كافية ابن الحاجب، ص88)،

وقد عدّ العلماء القدماء الوظيفة اللغوية للأسماء الموصولة وسيلة لوصف المعارف بالجمل أما إبراهيم أنيس جعل الموصولات روابط تربط بين الجمل وفي الوقت نفسه هي رموز لغوية يستعاض بها عن تكرار السماء الظاهرة.

جاء اسم الموصول في الخطبة في عدة مواضع، أولها قوله صلى الله عليه وسلم: (ما قتل بالعصا والحجر) ف (ما) هنا بمعنى (الذي)، أي الذي قتل بالعصا والحجر، ويحيل اسم الموصول هنا إحالة داخلية قبلية ذات مدى قريب إلى ما نهى به الرسول (صلى الله عليه وسلم) من القتل بالعصا والحجر، كذلك في مواضع أخرى (ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله) نجد أن اسم الموصول (ما) هنا المحيل الذي يحيل إليه خارج النص وهو البيع، أما في قوله: (ما إن أخذتم به) فإن اسم الموصل هنا إحالته خارجية عائدة إلى القرآن الكريم والسنة الشريفة.

كذلك استخدم الرسول (صلى الله عليه وسلم) اسم الموصول في موضع ثان في قوله: (فليؤدها للذي ائتمنه) فاسم الموصول (الذي) يحيل هنا إحالة داخلية بعدية قريبة المدى عائدة إلى أداء الأمانة، وكذلك قوله (واستفتح بالذي هو خير) نجد أن الإحالة هنا خارجية سياقية وأن بين اسم الموصول والصلة على الضمير (هو) الذي يعود عليه فاتضحت مقاصد الخطيب وهي الاستفتاح بما هو خير وهذا أدى إلى تماسك هذا الجزء على المستوى الأفقي للنص.

كذلك استخدم الرسول (عليه الصلاة والسلام) اسم الموصول في موضع ثالث في قوله:(يضل به الذين كفروا) فاسم الموصول (الذين) أحال إلى عنصر سابق وهو الكفر، ومن خلال السياق العام للمقطع نجد أن المحال إليه هو الكفر والنسيء وتلاعب العرب بعدة الشهور.

الخاتمة:

في الخطبة روابط متنوعة مما لها من أثر بالغ في التماسك النصي، ومن هذه الروابط الإحالة بأنواعها الضميرية والإشارية والموصولية، وهذا لبلوغ مقاصدها التي ترمي إليها من حفاظ على الدين الإسلامي وإيضاحه، ونجد أن الإحالة لها دور في تحقيق الترابط النصي في خطبة الرسول (صلى الله عليه وسلم)،

توصلت الدارسة إلى النتائج الآتية:

1. الإحالة قادرة على صنع جسور كبرى للتواصل بين أجزاء الخطبة المتباعدة والربط بينها ربطاً واضحاً وهذا ما يؤكد أهمية الإحالة في الربط النصي في الخطبة.
2. الإحالة نوعان: نصية ومقامية، يحكمها العنصر المحال إليه فإذا كان داخل النص فالإحالة داخلية نصية، وإذا كان خارج النص فالإحالة خارجية مقامية، أما من حيث القرب والبعد فالمحدد قرب المحال إليه وبعده.
3. الإحالة بالضمير أكثر أنواع الإحالة تكراراً، لأن الأصل في الضمير الربط بين الأسماء، والضمير البارز أكثر ربطاً من الضمير المستتر حيث يُعد الضمير المستتر قرينة معنوية تستنبط بالعقل، وهذا لا يعني عدم ربطه لأنه في بعض الأحيان يكون رابط بين جملة وجملة أخرى.
4. من مميزات استخدام العناصر الإحالية اختصار الحيز النصي، مثل اختصار حجم النص.
5. إحالة الضمير المستتر في النص وفي أغلب المواضع جاءت إحالة خارجية على عنصر غير موجود في النص، وللمتلقي أن يفهمه من السياق.
6. ساهمت الإحالة في إيصال أهداف النص من إقناع وتأثير وتوضيح شيء ما وحث على التغير.
7. تقوم الإحالة بدور فعال في تحقيق التماسك بين أجزاء النص من الناحية الجمالية، إضافة إلى أنها تحقق الاستمرارية في المعنى.
8. إن التماسك النصي هو أبرز محاور علم لغة النص لذلك يعني بدراسة العلاقات والأدوات التي تسهم في ربط النص.
9. قامت الإحالة بدور فعال في تحقيق التماسك النصي كما حققت الاستمرارية في داخل الخطبة والتشويق على مواصلة القراءة.

التوصيات:

توصي الباحثة بالتوسع في دراسة الإحالة والتماسك النصي على النصوص العربية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع العربية:

1. ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص1058، دار المعارف، القاهرة، (د ط).
2. أبو عثمان عمر بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون، ج 2، مكتبة الخانجي.
3. الأزهر الزناد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993.
4. تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994.
5. جرجي شاهين عطية، سلّم اللسان في الصرف والنحو والبيان، ج1، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ط4، "د ت".
6. جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية، آفاق عربية، بغداد،ط1، دن.
7. جون ليونز، تحليل الخطاب، ترجمة لطفي الزليطي ومنير تركي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997.
8. الخليل بن أحمد، كتاب العين، ترت ومرا: داود سليمان وداود سلوم، إنعام داود سلوم، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 2004.
9. روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتاب، 1998
10. رضي الدين الاستراباذي، شرح كافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، ط2، 1982، ج3.
11. سيبويه: عمر بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.
12. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، 2000، ج1.
13. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، 1980، (د ط).
14. كلماير، دراسات لغوية مكتبة زهرا الشرق، القاهرة، 1999.
15. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار غريب، القاهرة، 2006.
16. محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993، ط1.

ثانياً: الرسائل الجامعية والمجلات العلمية:

1. عبد الحكيم عبد الخالق، بحث الإحالة ودورها في تحقيق الترابط النصي، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية–كلية اللغة العربية، العدد التاسع، 2017م.
2. كريمة سبوعي، البنية الإحالية في خطبة حجة الوداع للرسول (ص)، جامعة حمه خضر بالوادي، 2014م، رسالة ماجستير غير منشورة

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

1. K. Halliday and Ruqaiya, Cohesion English, New York, Longman, 1976)

أثر الإنفَاق العام على النمو إلاقتصادي في السودان 1993- 2018م

The Impact public spending on Economic Growth Study in Sudan 1993-2018.

معتز آدم عبدالرحيم محمد **كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية جامعة غرب كردفان**
عادل عبد الله آدم محمد **كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية جامعة زالنجي**

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى بيان أثر الإنفاق العام على النمو الاقتصادي في السودان خلال الفترة 1993–2018م.وتحليل سياسة الإنفاق العام في السودان في ظل حدة المشاكل المالية في السودان. وتمثلت مشكلة الدراسة في السؤال: ما هو أثر الإنفاق الحكومي على النمو الاقتصادي في السودان خلال الفترة 1993–2018م ؟ افترضت الدراسة وجود علاقة طردية ذات دلالة إحصائية بين الإنفاق العام والنمو الاقتصادي خلال فترة الدراسة. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وذلك لتوضيح حجم وتطور الإنفاق العام وهيكله في السودان وتأثيره على النمو الاقتصادي واستخدمت المنهج الإحصائي المعتمد على أسلوب الاقتصاد القياسي لتحليل البيانات واختبار الفرضيات باستخدام برنامجARDL . ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة الإنفاق العام يؤثر سلباً على النمو الاقتصادي في المدى القصير , بينما يكون أثر الإنفاق العام على النمو الاقتصادي ايجابياً في المدى الطويل. ومن النتائج أيضاً وجود علاقة توازنية في المدى الطويل بين الإنفاق العام والنمو الاقتصادي. وتوصلت الدراسة إلى وضع سياسة انفاقية طويلة المدى واضحة الأهداف تقوم على انتقاء المشاريع والخروج من سياسة تنفيذ المشاريع الانفاقية ذات القيمة المرتفعة الأمر الذي يكون له تأثير سلبي على معدلات النمو الاقتصادي.

Abstract

The study aimed to demonstrate the impact of public spending on economic growth in Sudan during the period 1993-2018. The problem of the study was represented by the question: What is the impact of public spending on economic growth in the Sudan during the period1993-2018, and to analyze public spending policy in Sudan in light of the severity of financial problems in Sudan. The study assumed a positive statistically significant relationship between public spending and economic growth. The study used the descriptive and analytical approach in order to clarify the size and development of public spending and its structure in Sudan and its impact on economic growth. The statistical approach based on the econometrics method was used to analyze the data and the test hypotheses using the ARDL program. Among the most important finding of the study, public spending negatively affects economic growth in the short term, while the impact of public spending on economic growth is positive in the long term. Among the results is the existence of the long term equilibrium relationship between public spending and economic growth. Among the important recommendations reached by the study is the development of a long-term spending policy with clear objectives based on

selecting projects and exiting the policy of implementing high–value spending projects, which has a negative impact on economic growth rates.

مقدمة الدراسة:

تبرز أهمية الإنفاق العام كأحد أدوات السياسة المالية، والتي تعبر عن تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية، حيث إن التطور التاريخي للنفقات العامة في الفكر الاقتصادي يبرز مدى أهميتها وذلك لارتباطها بتطور دور الدولة في الاقتصاد والذي يعد ضرورياً لتحقيق التوازن الاقتصادي وتجنب الأزمات، كما وتستخدم الحكومات الإنفاق العام كأحد الأدوات التي ترفع بواسطتها من قدرة الاقتصاد على النمو والتطور.

وتعد مسألة تأثير الإنفاق العام على النمو الاقتصادي من المسائل الرئيسة لفهم كافة الأبعاد التي قد تؤثر على النمو الاقتصادي , وذلك بسبب الدور الرئيسي والحيوي الذي يلعبه الإنفاق العام كسياسة مالية في يد الدولة للتدخل في الاقتصاد وإعادة التوازن، وتحقيق أهداف السياسة الاقتصادية العامة وبالنسبة للاقتصاد السوداني كانت للإنفاق العام مساهمة كبيرة ومقدرة في الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي والمعبر عنه (بالنمو الاقتصادي) لذلك تحاول هذه الدراسة قياس أثر الإنفاق العام على النمو الاقتصادي في السودان خلال الفترة 1993–2018م.

مشكلة الدراسة:

أثبتت العديد من الدراسات التي أجريت في العديد من الدول عن وجود علاقة بين الإنفاق العام والنمو الاقتصادي، وذلك لان الإنفاق العام هو احد أدوات السياسة المالية فيكون له انعكاس على النمو الاقتصادي، لذلك يأتي تساؤل الدراسة:

1. ما أثر الإنفاق العام على النمو الاقتصادي في السودان خلال الفترة 1993–2018م ؟
2. هل توجد علاقة توازنية طويلة المدى بين الإنفاق العام والنمو الاقتصادي في السودان خلال الفترة 1993–2018م ؟

فرضيات الدراسة:

بناء على أسئلة الدراسة جاءت الفرضيات كالأتي:

1. توجد علاقة طردية ذات دلالة إحصائية بين الإنفاق العام و النمو الاقتصادي في السودان خلال الفترة 1993–2018م.
2. هناك علاقة توازنية بين الإنفاق العام والنمو الاقتصادي في السودان خلال الفترة 1993–2018م.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة من الجانب النظري في الدور الذي تلعبه الدولة في النشاط الاقتصادي، وإبراز تأثير سياسة الإنفاق العام على النمو الاقتصادي من خلال مضاعف الإنفاق العام، أما من الجانب التطبيقي فهي تعطي نظرة حول أثر سياسة الإنفاق العام على النمو الاقتصادي في السودان خلال فترة الدراسة 1993- 2018م، كما تكمن أهمية الدراسة في بيان أهمية هذا الموضوع لمتخذي القرارات الاقتصادية.

أهداف الدراسة:

1. بيان تأثير الإنفاق العام على النمو الاقتصادي في السودان خلال الفترة 1993-2018م.
2. إلقاء الضوء على الإنفاق العام في السودان وتحليل اتجاهاته وأنماطه.
3. إبراز أهمية النمو الاقتصادي كمؤشر يعكس الوضع الاقتصادي وتحليل العلاقة بين الإنفاق العام النمو الاقتصادي في السودان خلال الفترة 1993-2018م ؟
4. تحليل سياسة الإنفاق العام في السودان في ظل حدة المشاكل المالية في السودان.

منهجية الدراسة :

استخدمت الدراسة المنهجين الوصفي التحليلي، والكمي على النحو التالي:

استخدم المنهج الوصفي التحليلي في الدراسة لأنه أكثر المناهج استخداماً في دراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية وهو يناسب الظاهرة موضوع الدراسة , وذلك لتوضيح حجم وتطور الإنفاق العام وهيكله في السودان وتأثيره على النمو الاقتصادي. و استخدم المنهج الكمي لبناء نموذج قياسي لقياس أثر الإنفاق العام على النمو الاقتصادي في السودان خلال الفترة 1993-2018م وذلك من خلال اختبار العلاقة بين المتغيرات، حيث تم ذلك استخدام برنامج التحليل ARDL.

حدود الدراسة:

السودان، تم بناء نموذج قياسي خلال الفترة (1993-2018م).

أسباب اختيار موضوع الدراسة :

يعود سبب اختيار هذا الموضوع إلى الرغبة في التعرف على سياسة الإنفاق العام في السودان ومدى تأثير الإنفاق العام على النمو الاقتصادي في السودان خلال فترة الدراسة.

والسبب الثاني الرغبة في تقديم توصيات تساعد الحكومة في تحقيق نمو اقتصادي، لما له من أهمية بالغة لمتخذي القرارات في ظل الأوضاع الاقتصادية والسياسية التي يعاني منها السودان.

هيكل الدراسة:

يتناول المبحث الأول الإطار المنهجي، والدراسات السابقة، والمبحث الثاني الإطار النظري للدراسة، والمبحث الثالث يتناول الإنفاق العام والناتج المحلي الإجمالي في السودان والمبحث الرابع منهجية التحليل.

الدراسات السابقة:

1. **Landau (1986), 'Government and Economy Growth in the less Developed countries'**

هدفت الدارسة إلى دارسة العلاقة بين كل نوع من أنواع الإنفاق الحكومي من ناحية، والنمو الاقتصادي من ناحية أخري للفترة(1960 –1980) استخدم الباحث نموذجاً قياسياً لبيانات(65) دولة نامية حيث استخدم معادلات الانحدار المتعددة في إطار بيانات مقطعية لجميع هذه الدول وذلك لمعرفة أثر العديد من متغيرات الإنفاق الحكومي على النمو الاقتصادي كمتغير تابع،والنمو الاقتصادي كمتغير مستقل.

وقد بينت الدراسة أن هناك علاقة سببية بين الإنفاق الحكومي الاستهلاكي والنمو الاقتصادي ما عدا الإنفاق على التعليم حيث كان له تأثير إيجابي على النمو الاقتصادي، وأن النفقات التحويلية والعسكرية لم يكن لها أثر ملموس على النمو الاقتصادي.

وأوصت الدراسة بضرورة التركيز على الإنفاق على التعليم وخفض النفقات العسكرية.

2. **دراسة عمر محمود أبو عيده** (2015) **أثر الإنفاق الحكومي على النمو الاقتصادي في فلسطين** :

هدفت إلى تحديد العلاقة السببية بين الإنفاق الحكومي والنمو الاقتصادي خلال الفترة (1995– 2013م) ولتحقيق هذا الهدف اعتمد البحث على المنهج الإحصائي الوصفي، وكذلك على التحليل القياسي .من أهم النتائج التي توصل إليها البحث وجود علاقة سببية موجبة تتجه من الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي إلى الإنفاق الحكومي بأنواعه الإجمالية، (الجارية، والتطويرية.(كذلك وجود علاقة إيجابية تتجه من الإنفاق الحكومي بشقيه الإجمالي، والجاري إلى الناتج المحلي الإجمالي .في حين لم تثبت العلاقة السببية بين النفقات الحكومية التطويرية والنمو الاقتصادي، ولم تثبت معنوية النفقات الحكومية التطويرية في علاقتها وارتباطها مع الناتج المحلي الإجمالي .وتوصي الدراسة بإجراء المزيد من البحث في هذا المجال. (عمر محمود أبو عيده 2015)

3. **دراسة العيسى (2006) بعنوان":أثر الإنفاق الحكومي على النمو الاقتصادي في المملكة العربية السعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة**

هدفت الدراسة إلى تقدير الإنفاق العام على النمو الاقتصادي في المملكة العربية السعودية والكويت من العام 1970م إلى 2002م، والإمارات العربية المتحدة من العام 1972 إلى عام 2002م، وقد تم استخدام المنهجين الوصفي والكمي من خلال توضيح تطور حجم الإنفاق وهيكلته ووضع الموازنة في البلدان الثلاثة،,وبناء نموذج قياسي لقياس أثر الإنفاق الحكومي من خلال نموذج انحدار خطي متعدد يشمل النمو الاقتصادي مقاساً بالناتج المحلي الإجمالي وعدد من المتغيرات المستقلة والتي تشمل الإنفاق الحكومي وعرض النقود والتكوين الرأسمالي الثابت ومتغير صوري يعكس المراحل الاقتصادية التي مرت بها هذه الدول نتيجة لتغيرات أسعار النفط.

وقد بينت الدراسة تباين آراء المدارس الاقتصادية حول أهمية دور الدولة في النشاط الاقتصادي، وأن من أهم الصفات الاقتصادية المشتركة بين الدول محل الدراسة تتمثل في الاعتماد على النفط والاعتماد عمي العمالة الوافدة بشكل كبير، وأن انخفاض أسعار النفط وإيراداته أثر بالمرتبة الأولى على النفقات الرأسمالية بينما كان أثره محدوداً على الإنفاق الجاري، والسبب أن الجزء الأكبر من النفقات الجارية عبارة عن رواتب وأجور الأمر الذي جعل التقليل منها تعارض مع متطلبات التنمية، بالإضافة إلى اكتمال مشروعات البنية التحتية.

وأوصت الدراسة أن للإنفاق الحكومي تأثيراً معنوياً في دفع عجلة النمو الاقتصادي, لذلك يجب الاعتماد على الإنفاق الحكومي كأداة من أدوات السياسة المالية في رسم خطط التنمية الاقتصادية, وبصفة خاصة طويلة الأجل ضرورة تنويع الإنتاج في الدول محل الدراسة حتى لا يتم الاعتماد على مصدر واحد للدخل وهو إيرادات النفط لما له من أثار سلبية على الاقتصاد نتيجة لتقلب أسعار النفط العالمية كما حدث في فترة الثمانينات، وأن الإنفاق الحكومي محددٌ مهم من محددات النمو، لذلك على الدول محل الدراسة الاهتمام بالإنفاق على العوامل التي تدعم التنمية البشرية مثل التعليم والصحة والإعانات الاجتماعية، والاعتماد على القطاع الخاص. (العيسى، 2006م).

4. **دراسة محمد جبريل فضل الله (2012)، أثر السياسة المالية على عوامل الاستقرار الاقتصادي في السودان:**

تمثلت مشكلة الدراسة في أن الاقتصاد السوداني يعاني من إختلالات كبيرة في المؤشرات الداخلية والخارجية , من ارتفاع في معدلات البطالة والتضخم وانخفاض في معدلات النمو الاقتصادي وهدفت الدراسة إلى توضيح آثار السياسات المالية على عوامل الاستقرار الاقتصادي , وإلى أي مدى ساهمت هذه السياسات في تحقيق الاستقرار الاقتصادي في السودان

وتوصلت الدراسة إلى عدم وضوح السياسات المالية خاصة فيما يتعلق بجانب تخفيض الإنفاق العام. والكيفية التي يمكن تنفيذ هذه السياسات عبرها , بالإضافة إلى عدم الاتساق بين السياسة المالية والسياسة النقدية في إدارة السيولة وتخصيص الموارد المالية للقطاعات الإنتاجية.

وأوصت الدراسة بضرورة رسم سياسة مالية محكمة في مجال الإيرادات والنفقات العامة والتنسيق بين السياسات المالية والنقدية خاصة فيما يتعلق بتوجيه الموارد المالية للقطاعات الإنتاجية وضبط المعروض من النقود وتخفيض عجز الموازنة وذلك بوقف التوسع في الإنفاق الجاري , مع ضرورة تقليص النظام الإداري الفيدرالي (محمد جبريل فضل الله 2012)

أوجه التشابه والاختلاف بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة:

1. تتشابه الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة من حيث توضيح أثر الإنفاق الحكومي على النمو الاقتصادي في ظل النظريات الاقتصادية.
2. استفادت الدراسة من تجارب الدراسات السابقة في تحديد النموذج القياسي المناسب، بالإضافة إلى الطرق الإحصائية المستخدمة في عملية التقدير.
3. من أوجه اختلاف الدارسة الحالية عن بعض الدراسات السابقة استخدامها في الجانب الإحصائي أسلوب تحليل السلاسل الزمنية للفترة ما بين(1993 –2018) .

الإنفاق الحكومي:

تمهيد:

النفقات العامة أداة تستخدمها الدولة في تحقيق الدور الذي تقوم به في مختلف المجالات، وتكتسب دراستها جانباً مهماً وحيوياً في الدراسات المالية،كما يتطور البحث فيها مع تطور الفكر المالي فهي بذالك تعكس جوانب الأنشطة العامة، وتبين البرامج الحكومية في شتى الميادين في صورة أرقام واعتمادات سعيا منها لتحقيق أقصى نفع جماعي ممكن.

الإنفاق الحكومي – أسس ومفاهيم عامة:

الإنفاق الحكومي من الأدوات الأساسية التي تعتمد عليها الدولة في رسم وتطبيق سياستها الاقتصادية، و سنتطرق إلى بعض المفاهيم الأساسية المرتبطة بالإنفاق الحكومي .

تعريف الإنفاق الحكومي، أشكاله، مصادره وأهدافه:

أولاً: تعريف الإنفاق الحكومي: يعرف الإنفاق الحكومي مبلغ نقدي يخرج من الذمة المالية للدولة أو أحد تنظيماتها بقصد إشباع حاجة عامة" ، وتعرف كذلك بأنها كافة المبالغ النقدية التي يقوم بإنفاقها شخص عام لتلبية حاجة عامة

(كريم بودخدع، 2001، ص30) أو بأنها تلك المبالغ المالية التي تقوم بصرفها السلطة العمومية الحكومية والجماعات المحلية بقصد تحقيق منفعة عامة (محمد عباس محرزي،2003، ص68)

ثانياً: أشكال الإنفاق الحكومي:

تكون النفقة العمومية في شكل مبلغ نقدي حيث تقوم الدولة بدورها في الإنفاق الحكومي باستخدام مبلغ نقدي ثمناً لما تحتاجه من منتجات، سلع وخدمات، من أجل تسيير المرافق العمومية وثمناً لرؤوس الأموال الإنتاجية التي تحتاجها للقيام بالمشاريع الاستثمارية ولمنح المساعدات الإعانات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

مما لاشك فيه أن استخدم الدولة للنقود هو أمر طبيعي ويتماشى مع الوضع القائم في ظل اقتصاد نقدي، ومن ثم تصبح النقود هي وسيلة الدول للإنفاق شأنها في ذلك شأن الأفراد.

ويعد الإنفاق النقدي من بين أفضل طرق النفقات العمومية التي تقوم الدولة وهذا راجع لعدة أسباب يمكن أن نوجزها فيما يلي:

1. إن استعمال الدولة للنقود في عملية الإنفاق يسهل ما يتطلبه النظام المالي الحديث من ترسيخ مبدأ الرقابة بصورها المتعددة على النفقات العمومية ضماناً لحسن استخدامها وفقاً للأحكام والقواعد التي تحقق حاجات الأفراد العامة وفقاً للأحكام والقواعد التي تحقق حاجات الأفراد العامة.
2. إن انتشار مبادئ الديمقراطية أدى إلى عدم إكراه الأفراد على أعمالهم بدون أجر لتعارض ذلك مع حرية الإنسان وكرامته.
3. إن الإنفاق العيني يثير العديد من الإشكالات الإدارية والتنظيمية ويؤدي إلى سوء في التدقيق، وقد يؤدي الانحياز إلى بعض الأفراد وإعطائهم مزايا عينية دون غيرهم.

ثالثا: مصادر الإنفاق الحكومي:

لا يمكننا أن نعتبر المبالغ النقدية التي تنفق لأداء خدمة معينة من باب النفقة العمومية إلا إذا صدرت من شخص عام. ويقصد بالأشخاص العامة، الدولة وأقسامها السياسية وجماعاتها المحلية بما في ذلك الهيئات والمؤسسات العمومية ذات الشخصية المعنوية، الولايات المتحدة في الدول الاتحادية، أو قد تكون أشخاص عامة محلية كمجالس المحافظات والمدن والقرى في الدول الموحدة (سمير بن عباس، 2001 – 2012، ص/34)

رابعاً: أهداف الإنفاق الحكومي:

هو إشباع حاجة العامة أي تحقيق الصالح العام للمجتمع، حيث يستفيد أفراد المجتمع بصورة عامة من تلك الخدمة التي تقدمها الحكومة وذلك لأن الأموال التي تغطي هذه النفقات العامة تمت جبايتها من الأفراد، ويعتبر مفهوم الحاجة العامة أمراً نسبياً يختلف من مجتمع لآخر حسب التطور الحضاري والاجتماعي والثقافي لكل مجتمع ولهذا تركت هذه الأمور

للمجالس النيابية التي تمثل الشعب لتحرير الحاجات العامة للشعوب من أجل عدم إساءة استعمال النفقات العامة والمحافظة على المال العام (محمود حسين الوادي،2007 ،ص 121)

تقسيمات الإنفاق الحكومي: تستند تقسيمات الإنفاق الحكومي إلى عدة معايير محددة، وعليه سيتم التطرق إلى التقسيمات العلمية للنفقات العمومية.

أولا: التقسيمات العلمية (الاقتصادية(للنفقات العمومية:

يعتمد التقسيم الاقتصادي للنفقات العمومية على ثلاثة معايير رئيسية وهي:

1. **معيار الدورية (التكرار)**: استناداً إلى معيار الدورية يمكن التمييز بين نوعين من النفقات العمومية:

النفقات العامة الدورية: وهي تلك النفقات التي تتميز بالتكرار ويطغى عليها طابع الدوام، وتندرج في تسيير المرافق الأساسية للدولة كالأمن والتعليم كما تعرف كذلك بالنفقات العادية أو الجارية.

النفقات العامة غير الدورية :والمقصود بها تلك النفقات التي لا تتكرر بصفة دورية، كما أنها قد تظهر في أوقات غير منتظرة) كالكوارث الطبيعية والحروب (مما يصعب التوقع بحجمها، إذن أنها غالباً ما تمول من إيرادات غير عادية كالاقتراض.

2. **معيار الأثر على الناتج الوطني وحجمه**: يمكن التميز وفق هذا المعيار بين نوعين من النفقات :الحقيقية والغير حقيقية (التحويلية)

النفقات الحقيقية :ترمي إلى الإنتاج الوطني أي تمثل مقابل ما تدفعه السلطات العمومية حتى تحصل على عناصر الإنتاج الأساسية أو توفر خدمات وسلع ضرورية لسير مصالحها، وعليه فإنها نفقات منتجة تزيد من الدخل القومي للدولة.

النفقات غير الحقيقية: إذ أنها لا تزيد في الإنتاج الوطني وتقتصر على إعادة توزيع الدخل الوطني بين طبقات المجتمع عن طريق ما يعرف بالتحويلات الاجتماعية كأنظمة الحماية الاجتماعية والمعاشات.

3. **معيار الوظيفة التي تؤديها النفقات العامة:**

يمكن تقسيم النفقة العامة تبعا للغرض الذي تؤديه، أي تبعاً لآثارها العائدة على المجتمع وخاصة الاقتصادية منها، فوفق هذا المعيار يتم تقسيم النفقات العامة إلى:

النفقات الإدارية: هي تلك النفقات اللازمة لتسيير الشؤون الإدارية كأجور المستخدمين.

النفقات الاجتماعية: الرامية أساساً لتحقيق التنمية والتكافل الاجتماعي.

النفقات الاقتصادية: تمثل النفقات الضرورية لتقوية النسيج الصناعي، دفع الاستثمار وتمتين البنى التحتية.

4. **معيار الشمولية:** كما يمكن تقسيم النفقات العمومية حسب معيار الشمولية إلى:

النفقات المركزية أو الوطنية: هي نفقات ذات طابع وطني تقوم بها الحكومة المركزية وتشمل جميع أفراد الدولة الواحدة كنفقات الدفاع، القضاء والأمن.

النفقات المحلية: هي نفقات ذات طابع إقليمي أو محلي تتكفل بالجماعات المحلية كالبلديات والولايات.

ثانياً: ظاهرة تزايد الإنفاق الحكومي:

وتبين هذا من خلال الدراسة التي أجراها الألماني " أدولف فاجنر " بخصوص تطور الإنفاق العام في الدول الأوروبية خلال القرن التاسع عشر، حيث صاغ القانون الاقتصادي (قانون فاجنر)، والذي يشير إلى أنه كلما حقق معدل معين من النمو الاقتصادي، فإن ذلك يستتبع باتساع نشاط الدولة (نامية أو متقدمة) ومن ثم زيادة الإنفاق العام بنسبة أكبر من نسبة زيادة متوسط نصيب الفرد في الناتج القومي"، وقد لوحظ أن ظاهرة تزايد الإنفاق الحكومي ترجع إلى ما يلي: (محمد عباس محرزي، ص 60)

1. **الأسباب الظاهرية لتزايد الإنفاق الحكومي:** انخفاض قيمة النقود – اختلاف طرق المحاسبة الحكومية – التزايد السكاني – التوسع الإقليمي.
2. **الأسباب الحقيقية لتزايد الإنفاق الحكومي:** زيادة دور الدولة في النشاط الاقتصادي – اتساع الدور الاجتماعي للدولة. – تغيير الدور السياسي للدولة.– أثر الحرب

ثالثاً: أهم الآثار الاقتصادية للإنفاق الحكومي:

تتعرض النفقات العامة بآثارها على حزمة من المؤشرات الاقتصادية يمكن أن نسوقها في الآتي:

1. **الأثر المباشر للإنفاق العام على الناتج الوطني:**

أ. زيادة القدرة الإنتاجية في شكل إنفاق استثماري، ومنه الزيادة في الإنتاج والناتج الوطني.

ب. إن النفقات الجارية يمكن أن تكون سببا في زيادة إنتاج عناصر الإنتاج من خلال التعليم، الصحة، الثقافة.

2. **الأثر المباشر للإنفاق العام على الاستهلاك الوطني:** عندما تقوم الحكومة وأجهزتها بشراء خدمات استهلاكية (الدفاع، الأمن، التعليم,....) وشراء سلع استهلاكية (ملابس، مستلزمات وأدوية ,.....) فأنها تسهم في زيادة الاستهلاك الوطني.

3. **أثر الإنفاق العام على توزيع الدخل**: وذلك من خلال إجراء تعديلات اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية على التوزيع الأولي فيما يسعى عادة توزيع الدخل الوطني، أي بين الأفراد بصفتهم مستهلكين، وتتم هذه التعديلات من خلال النفقات التحويلية بين عوامل الإنتاج أو فروع النشاط أو الأقاليم الجغرافية.

4. **أثر الإنفاق العام على معدل النمو الاقتصادي**:

حيث يمكن أن يزيد معدل النمو الاقتصادي كلما زاد الإنفاق الاستثماري، جراء الزيادة في التراكم الرأسمالي ومن ثم الاستثمار، والعكس صحيح.

رابعاً: النمو الاقتصادي:

تعد المفاهيم الأساسية الخاصة بموضوع النمو الاقتصادي من أهم الموضوعات التي تناولها الاقتصاديون، إذ يمكن اعتبار النمو الاقتصادي هو هدف من بين الأهداف الأساسية لأي اقتصاد في العالم ككل، وكأحد المقاييس لقياس تطورها.

1. **مفهوم النمو الاقتصادي**:

النمو الاقتصادي يعني حدوث زيادة مستمرة في متوسط الدخل الفردي الحقيقي مع مرور الزمن، أي أنه يشير لنصيب الفرد في المتوسط من الدخل الكلي للمجتمع، وهذا يعني أن النمو الاقتصادي لا يعني مجرد حدوث زيادة في الدخل الكلي أو الناتج وإنما حدوث تحسين في مستوى معيشة الفرد ممثلاً في زيادة نصيبه من الدخل الكلي، وهذا لا يحدث إلا إذا فاق معدل نمو الناتج (الدخل) الكلي معدل النمو السكاني، فإذا حدث وكان معدل نمو الدخل الكلي مساوياً لمعدل النمو السكاني فإن متوسط نصيب الفرد من الدخل الكلي سوف يظل ثابتاً وبالتالي لا يوجد نمو اقتصادي.(عبدالقادر محمد 2003, ص 11).

2. **تعريف النمو الاقتصادي**:

هو العملية المستمرة و التي من خلالها تزيد المقدرة الإنتاجية للاقتصاد الوطني عبر الزمن لرفع مستويات الناتج القومي أو الدخل القومي، و يعرف أيضاً أنّه الزيادة في سّلم مناخات الإنتاج، الناتج عن ارتفاع التوقعات في الموارد أو التطور التكنولوجي. (ميشيل توادر، 2006، ص31) هو التوسع في الناتج الحقيقي أو التوسع في دخل الفرد من الناتج القومي الحقيقي وهو بالتالي يخفف من عبء ندرة الموارد ويولد زيادة في الناتج القومي الذي يعمل على مواجهة المشاكل الاقتصادية.

ويعرف كذلك بأنه هو حدوث زيادة مستمرة في متوسط الدخل الفردي الحقيقي مع مرور الزمن ومتوسط الدخل الفردي ممثل بالعلاقة الرياضية التالية: (محمد ناجي حسن خليفة،2001، ص70)

– متوسط الدخل الفردي = الدخل الكلي / عدد السكان.

النمو الاقتصادي لا يعني حدوث زيادة في إجمالي الناتج المحلي فقط، بل لابد أن يترتب عليه زيادة في دخل الفرد الحقيقي أي أن معدل النمو الاقتصادي لابد أن يفوق معدل النمو السكاني و على ضوء ذلك يكون:

معدل نمو الاقتصاد الوطني = معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي – معدل نمو السكان.

– الناتج القومي الإجمالي:

يقصد به قيمة السلع والخدمات التي يتم إنتاجها خلال فترة زمنية (عادة تكون سنة) من قبل المواطنين سواء كانوا داخل البلد أو خارجه بعد استبعاد ما يتم إنتاجه بواسطة العناصر غير الوطنية (جمال داؤد, 2015, ص9).

3. حالات النمو الاقتصادي:

– النمو التلقائي: يقصد به الزيادة المستمرة في الدخل القومي الحقيقي بمعدل يفوق معدل النمو السكاني في المجتمع، ويحدث النمو نتيجة تفاعل المتغيرات الاقتصادية في المجتمع بطريقة تلقائية دون الاعتماد على وضع الخطط الاقتصادية أو التخطيط القومي(هشام محمود, 2009, 121).

– النمو العابر: يحدث نتيجة لوجود أسباب طارئة "عادة تكون بصورة عابرة" ويزول بزوالها، وهذا النمو ليس له صفة الاستمرار وقد عرف هذا النوع في بعض الدول النامية نتيجة لحدوث تطورات في تجاراتها الخارجية، ولكن آثار هذا النمو كانت محدودة بسبب عدم استمراره وانتظام العوامل التي أدت إليه وأيضاً كان لجمود النسق الاجتماعي والثقافي في تلك الدول دوراً كبيراً في عدم استيعاب هذا النمو.

– النمو المخطط :هذا النوع من النمو يحدث نتيجة تدخل الدولة من خلال وضع استراتيجية للتخطيط الاقتصادي، وعلى ذلك فإن فاعلية هذا النمو ترتبط ارتباطاً وثيقاً بواقعية الخطط الاقتصادية ومراحلها ومرونة السياسات الإدارية والاقتصادية المتبعة، والنمو المخطط يعد نمو ذاتي الحركة مثله في ذلك مثل النمو الطبيعي ولكنه يتم بمعدلات أسرع، والنمو المخطط يصور المسار الذي سارت عليه دول الكتلة الشرقية والاتحاد السوفيتي والصين خلال القرن الماضي.

4. مؤشرات ومقاييس التنمية والنمو:

على الرغم من وجود فروق واضحة بين كل من النمو الاقتصادي والتنمية "الاقتصادية" والتقدم الاقتصادي، فإنها كثيراً ما تستخدم كمترادفات بسبب ما تشمله من عناصر مشتركة ولعل ما يعنينا في هذه المرحلة هو الوسيلة التي عن طريقها نتعرف على ما يحققه المجتمع من تقدم أو نمو أو تنمية، أي ما هي الوسائل التي يمكن عن طريقها قياس درجة التقدم في دولة ما، حيث توجد ثلاثة معايير رئيسية لقياس التنمية الاقتصادية هي:

أ. **معايير الدخل:**

تعد معايير الدخل أن الدخل هو المؤشر الأساسي الذي يستخدم في قياس التنمية ودرجة التقدم الاقتصادي، ولابد من التنبه إلى ضعف الأجهزة الإحصائية في الدول النامية، وصعوبة تحديد مفهوم الدخل الحقيقي والاتفاق على البنود التي تحسب ضمن إجمالي الناتج القومي، واختلاف الدول فيما بينها بالنسبة لمعالجة بنود الدخل، كذلك فانعدم ثبات أسعار الصرف الخارجية، واختلاف الأسعار الرسمية عن الأسعار الحقيقية من الأمور التي يتعين أن تؤخذ في الحسبان عند تقدير وتقييم تلك المؤشرات، وتنطوي معايير الدخل على معايير فرعية:

i. معيار الدخل الكلي:

يقترح الأستاذ meadeقياس النمو الاقتصادي بالتعرف على الدخل القومي الكلي وليس متوسط نصيب الفرد من الدخل، إلا أن هذا المقياس لم يقابل في الأوساط الاقتصادية بالقبول والترحاب، وذلك لأن زيادة الدخل أو نقصه قد لا تؤدي إلى بلوغ نتائج إيجابية أو سلبية، فزيادة الدخل القومي لا تعني نمو اقتصادياً عندما يزداد السكان بمعدل أكبر، ونقص الدخل"لا يعني" تخلفاً اقتصادياً عندما ينخفض السكان وكذلك يتعذر الاستفادة من هذا المقياس حينما تنتشر الهجرة من وإلى الدولة.

ii. معيار الدخل القومي الكلي المتوقع:

يقترح البعض قياس النمو على أساس الدخل المتوقع وليس الدخل الفعلي، فقد يكون لدى الدولة موارد كامنة غنية كما يتوافر لها الإمكانيات المختلفة لإفادة من ثرواتها الكامنة، إضافة إلى ما بلغته من تقدم تقني، في هذه الحالة يوصى بعض الاقتصاديين أن تؤخذ في الاعتبار تلك المقومات عند قياس حجم الدخل، غير أن هذا المعيار توجه إليه صعوبة تقدير وقياس تلك الثروات الكامنة والمتوقعة في المستقبل.

iii. معيار متوسط الدخل الحقيقي:

يعد متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي الحقيقي أكثر المعايير استخداماً وأكثرها صدقاً عند قياس مستوى التقدم الاقتصادي في معظم دول العالم، إلا أن هنالك عديد من المشاكل والصعاب التي تواجه الدول النامية للحصول على أرقام تمثل الدخل الحقيقي للفرد، كما أن إحصاءات السكان والدخول غير كاملة وغير دقيقة، وكذلك فإن عقد المقارنات بين الدول المختلفة بين الدول المختلفة أمر مشكوك في صحته ودقته، نظراً لاختلاف الأسس والطرقات التي يحسب على أساسها. يعتقد الأستاذ Charles kindle Berger أن الاهتمام بصدد التنمية يتعين أن يوجه إلى الإنتاجية وليس إلى مستوى المعيشة أي إلى الدخل المنتج وليس إلى الدخل المنفق. وعلى العكس فإن جمهور الاقتصاديين يتمسك بمتوسط نصيب الفرد من الدخل، باعتباره المعيار الذي يجب الأخذ به لأن الهدف النهائي من التنمية هو رفع مستويات المعيشة ومستويات الرفاهية.(محمد عبدالعزيز , 2008, ص 108).

5. **عناصر ومحددات النمو الاقتصادي:**

هناك عدة محددات للنمو الاقتصادي في أي مجتمع تكون هي وراء إحداث النمو ,وحيث نجد من أهمها: تراكم رأس المال؛ ورأس المال البشري حيث:

أ. **تراكم رأس المال:**

ويشتمل على كل من الاستثمارات الجديدة في الأرض والمعدات المادية و الموارد البشرية فتراكم رأس المال ينتج عندما يخصص جزء من الدخل الحالي كادخاره لكي يتم استثماره حتى يزداد نمو الدخل.

وتوالت فيما بعد آراء الاقتصاديين حول مفهوم التراكم الرأس المالي وهنا نذكر بفكرة" كينز "الذي ربط مفهوم رأس المال باستثمار الذي يتم تشغيله في الإنتاج عائداً أو دخلاً في المرحلة لاحقة وهنا ظهر مفهوم الكفاية الحدية لرأس المال. وبالتالي كون رأس المال يعد عنصر من عناصر النمو فهو يساعد في توسيع الإنتاج بواسطة الاستثمارات المختلفة المحققة. (عبد الغفار غطاس، 2006، ص25)

ب. رأس المال البشري:

يمثل الفرد حجر الزاوية في النظام الاقتصادي الجديد المبني على المعرفة، ولذلك فإن المهارات الفردية والإبداع والابتكار ليست فقط عوامل الإنتاج، إنما هي أيضاً مصادر للثروة ودوافع للنمو الاقتصادي، وفي التنافس العالمي على المعرفة والمواهب تصبح تنمية الموارد البشرية استراتيجية شديدة الأهمية بالنسبة إلى الأمم والمؤسسات لكي تكتسب الميزة التنافسية.

ومن المهم ملاحظة أنه في الوقت الذي تتحمل فيه الدولة دوراً رئيسياً في تطوير قوة عاملة عالية الخبرة وقادرة على تلبية المتطلبات الاقتصادية فإنها ليست الطرف المؤثر الوحيد الذي يتحمل المسؤولية، إذ يجب أن تكون هنالك شراكة بين نظام التعليم الرسمي والخاص وقطاع الأعمال والحكومة والمستثمرين ومن هنا تتحمل كل حكومة مسؤولية صياغة سياسة وطنية للمورد البشري لتشجيعه ودعمه.(ربحي مصطفى، 2014م، ص200)

العلاقة بين الإنفاق العام والنمو الاقتصادي:

تعد مسألة تأثير الإنفاق الحكومي على النمو الاقتصادي من المسائل الرئيسية لفهم الأبعاد الاقتصادية التي تؤثر على النمو الاقتصادي وذلك بسبب الدور الرئيسي والحكومي الذي يلعبه الإنفاق الحكومي كسياسة مالية في يد الدولة للتدخل في الاقتصاد وإعادة التوازن وتحقيق أهداف الدولة، ومن خلاله يمكن استقراء واقع ومستقبل التوظيف وحجم الطلب واتجاهات التكوين الرأسمالي واتجاهات الأسعار والتي تعد بشكل عام مرآة للنمو الاقتصادي.

ويعد موضوع الإنفاق الحكومي وعلاقته بالنمو الاقتصادي من الموضوعات التي بحثت من جوانب متعددة ومختلفة فعلى سبيل المثال يشير القريني إلى أن معدل النمو الاقتصادي في الدول النامية إنما يتوقف على حد كبير على قدرة هذه الدول على الإنفاق على التعليم والصحة والأمن والدفاع والبنية التحتية.

أولاً: الإنفاق العام في السودان:

يمكن تعريف النفقات العامة بأنها أموال الدولة التي تنفقها لإنجاز خدمات عامة يستفيد منها المجتمع، ويلاحظ أن نفقات الحكومة المركزية توجه لتحقيق الخدمات العامة دون انتظار عائد معين مقابل هذه الخدمات .وبهذا المفهوم فإن الإنفاق الحكومي المركزي ينبغي أن يكون إنفاقاً عاماً يستفيد منه جميع أفراد المجتمع .ويتكون الإنفاق العام في السودان من أجزاء رئيسية ثلاثة هي: إنفاق الحكومة المركزية، الإنفاق على الحكم المحلي، الإنفاق على التنمية.

الزيادة في حجم الإنفاق الحكومي ساهمت في تغذية الضغوط التضخمية في الاقتصاد السوداني خلال الفترة 1993-2018م، نتيجة للدور الذي يلعبه في زيادة حجم الطلب الكلي على السلع والخدمات الأمر الذي أدى إلى رفع مستويات الأسعار.

جدول رقم (1) النفقات العامة في السودان 1993–2018م مليون جنيه.

العام	النفقات العامة	معدل نمو النفقات العامة
1993	98941.1	-
1994	119436.0	-
1995	217.600	-
1996	1197.00	-
1997م	1173.8	%41
1998م	1163.0	%34
1999م	1964.2	%68.9
2000م	35220.0	%69
2001م	41860.0	%18.9
2002م	51790.0	%23.7
2003م	73900.0	%42.7
2004م	110380.0	%49.6
2005م	138530.0	%25.5
2006م	17096.2	%18.7
2007م	20806.1	%21.7
2008م	22440.0	%19.5
2009م	20025.9	%25.9
2010م	24162.0	%38
2011م	28573.0	%20.7
2012م	26272.0	%18.3
2013م	36178.5	%37.3
2014م	55632.0	%53.7
2015م	61476	%10.5
2016م	69,099,60	%13
2017	96,200.00	%5,2
2018	127,200,00	-

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء، تقارير مختلفة للفترة 1993–2018م.

يلاحظ من الجدول (1):

1. شهد الإنفاق الحكومي ارتفاعاً ملحوظاً خلال السنوات 1993– 2011م حيث ارتفع من (16.3) مليون جنيه عام 1990م، إلى (28.573.1) مليون جنيه في عام 2011م، أي أن الإنفاق الحكومي قد زاد (1742) مرة في عام 2011م، عن ما كان عليه في عام 1990م.
2. زاد الإنفاق الحكومي بمعدلات نمو متصاعدة خلال الفترة الممتدة من عام1997م وحتى عام 2000م، حيث ارتفعت معدلات نموه من (20%) عام1997م، إلى (69%) عام2000م. ويعزى الارتفاع في الإنفاق الحكومي إلى عدة أسباب منها: زيادة الإنفاق على تنفيذ وبناء مشروعات البنية التحتية، وزيادة الإنفاق على الحرب الأهلية في الجنوب وتأمين الجبهة الداخلية.
3. شهدت الفترة 2001– 2016م، تذبذباً في معدلات نمو الإنفاق الحكومي، حيث انخفضت من (18.9%) عام 2001م، إلى (10.5%) في عام 2016م، حيث بلغ معدل نمو الإنفاق الحكومي خلال هذه الفترة (13%) في المتوسط، إن تراجع معدلات نمو الإنفاق الحكومي خلال هذه الفترة يعود إلى فقدان السودان إيراداته النفطية جراء انفصال الجنوب.

ثانياً: النمو الاقتصادي في السودان:

جدول رقم (2) الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة والجارية ومعدل النمو الاقتصادي 1993– 2018م

العام	معدل النمو الاقتصادي	الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة	الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية
1993	4.6	9.471.00	86009
1994	1.0	9.566.00	175356.3
1995	6.5	10.140	4049.74
1996	11.6	10478.1	11.312
1997م	6.1	16.137.4	11.998
1998م	8.2	21.935.9	12.986
1999م	4.2	27.058.8	13.536
2000م	8.4	33.662.7	14.672
2001م	6.4	40.658.6	16.256
2002م	6.7	47.756.1	17.232
2003م	6.1	55.733.8	18.316
2004م	6.4	68.721.4	19.257
2005م	8.7	85.707.1	20.344
2006م	10.4	98.718.8	22.353
2007م	8.3	114.017.5	24.158
2008م	7.8	127.746.9	26.032
2009م	6.1	141.707.3	28.110
2010م	5.5	162.204.0	29.300
2011م	5.1	186.689.9	27.000
2012م	1.1	243.412.8	27.300
2013م	4.4	294.630.2	280690
2014م	2.7	475.827.8	290411
2015م	4.3	582.936.71	304659
2016م	4.9	693.514.0	346200
2017	5.2	773467.7	793467.7
2018	5.7	-	1228967.3

المصدر: وزارة المالية والاقتصاد الوطني بيانات لسنوات مختلفة

يلاحظ من الجدول (2) أن معدلات نمو الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية والثابتة ومعدل النمو الاقتصادي في تأرجح بين الزيادة والنقصان خاصة معدل النمو الاقتصادي الذي يعتمد على الناتج، حيث كان معدل النمو الاقتصادي في 1993 4.6% ثم انخفض إلى 1.0% في العام 1994م، ثم ارتفع في عام 1995م إلى 11.6% ويعزى ذلك لارتفاع معدل النمو في قطاعي الزراعة والصناعة، وزاد معدل النمو الاقتصادي الذي بلغ في متوسطة حوالي 5% في فترة الدراسة، مما يعني أن زيادة الإنفاق العام أدت إلى ارتفاع مستوى النشاط الاقتصادي وخاصة بعد دخول البترول كمكون أساسي في الصادرات عام 1999م.

وكذلك يشير الجدول (2)إلى أن النمو الاقتصادي بلغ في المتوسط في فترة التسعينيات حوالي 6%، وتزايد النمو الاقتصادي بعد دخول البترول كمورد أساسي من مكونات الناتج المحلي، وقد بلغ النمو الاقتصادي4.8% في عام 2000م ليصل إلى أعلى معدل له في عام 2006م ليبلغ حوالي 4.10%. أما في الفترة من (2008– 2012) فقد حافظ معدل النمو الاقتصادي على معدل عالي مقاسا بالرقم العالمي للنمو (أعلى من 5%(إذ بلغ في المتوسط حوالي (1.6%) على الرغم من الأزمة المالية العالمية والحروب الأهلية المتعددة، أما الفترة (2013–2018%) فبلغ معدل النمو حوالي 5% ويرجع ذلك لتأثر السودان بالانفصال دولة جنوب السودان وخروج البترول من الناتج بالإضافة إلى الأزمة الاقتصادية التي يمر بها السودان.

ثالثاً: الجانب التطبيقي: منهجية التحليل:

أثر الإنفاق العام على النمو الاقتصادي:

توصيف النموذج واختبار سكون متغيرات النموذج

يتضمن النموذج القياسي عدد من المتغيرات تم تحديدها من خلال الأدبيات المتمثلة في النظرية الاقتصادية والدراسات التطبيقية وطبيعة المتغيرات الاقتصادية السائدة في الفترة الزمنية تحت الدراسة. وتعد الخطوة الأولى والأساسية التي يقوم بها الباحث في الاقتصاد القياسي والذي يود دراسة ظاهرة اقتصادية معينة، وهي تعني بالتعبير عن الظاهرة موضع الدراسة في صياغة رياضية وذلك لعكس العلاقات المختلفة، ويطلق على هذه الظاهرة على المستوى الأكاديمي بمرحلة صياغة الفرضيات وهي تشتمل علي الخطوات التالية:

- تحديد متغيرات النموذج.
- تحديد الشكل الرياضي للنموذج.

- تحديد القيم والإشارات المسبقة للمعالم.

وفيما يلي دراسة توضيحية لمراحل توصيف النموذج الدراسة:

تحديد المتغيرات

يتضمن النموذج المقترح لتقدير دالة أثر الإنفاق العام على النمو الاقتصادي في السودان والذي يشتمل على معادلة تم تحديدها من خلال الدراسات النظرية والتطبيقية وهي تتمثل في التالي:

معادلة النموذج: تشتمل على الآتي:

المتغير التابع: الإنفاق العام.

المتغير المستقل: النمو الاقتصادي ممثل في (الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي).

الشكل الرياضي للنموذج:

تمت صياغة النموذج وفقا" للأشكال الرياضية التالية:

1. الدالة الخطية:

وهي الدالة الخطية والتي تأخذ الشكل الرياضي التالي:

$$GS = B_0 + B_1EG + Ut \text{----------} 1$$

2. الدالة اللوغريثمية والتي تأخذ الشكل التالي:

$$Log(GS) = B_0 + B_1 log(EG) + Ut \text{----------} 2$$

حيث إن:

الإنفاق العام = GS (General spending)

النمو الاقتصادي = EG (Economic Growth)

فحص وتقدير النموذج القياسي للدراسة:

وفيما يلي نتائج اختبارات جذور الوحدة لبيانات النموذج القياسي المستخدم باستخدام اختبار (Augemented Dickey Fuller) و (Philiiip&Perron) عند مستوي معنوية 5%.

نتائج اختبارات جذور الوحدة results of Unit Root tests

جدول رقم (3) نتائج اختبار جذور الوحدة باستخدام اختبار (ADF) لمتغيرات الدراسة

المتغير	القيمة الحرجة 5%	القيمة الاختبارية (ADF)	مستوى الاستقرار
الإنفاق العام	-3.603202	4.077536	المستوى
النمو الاقتصادي	-3.632896	8.111314	المستوى

المصدر: إعداد الباحثين باستخدام برنامج E-Views

يتضح من الجدول رقم (3) لقد تم استخدام اختبار (ديكي فولر) لاختبار سكون المتغيرات. لذا من خلال الجدول (3) أعلاه لقد تم قبول فرضية التكامل من الدرجة صفر عند مستوي معنوية (5%) لمتغيري (الإنفاق العام) و(النمو الاقتصادي) باستخدام اختبار (ديكي& فولر) حيث يتضح أن قيمة الاختبار المطلقة للمتغيرين (3.632896-) و(-3.603202) و(8.111314) و(4.077536) على التوالي أكبر من القيمة الحرجة عند مستوي معنوية 5% والبالغة مما يعني أن متغيري (الإنفاق العام والنمو الاقتصادي) مستقران في مستواهما.

تقدير دالة أثر الإنفاق العام على النمو الاقتصادي في السودان:-

لتقدير دالة أثر الإنفاق العام على النمو الاقتصادي في السودان فقد تم استخدام نموذج الانحدار الخطى البسيط، حيث تم إجراء كل العمليات الحسابية الخاصة بتحليل الانحدار باستخدام البرنامج الاقتصادي(E-views)، وكان نموذج الانحدار المفترض في الصيغة التالية:

$$GS = B_0 + B_1EG + Ut$$

حيث إن:

GS = الإنفاق العام

EG = النمو الاقتصادي

Ut = المتغير العشوائي

وسيتم اعتماد طريقة المربعات الصغرى(OLS) لتقدير دالة النمو الاقتصادي، وبعد إجراء عدة محاولات وباستخدام النماذج الرياضية المختلفة جاءت نتائج التقدير كما هو موضح في الجدول التالي.

جدول رقم (4) نتائج تقدير النموذج

المتغيرات	المعالم	الأخطاء المعيارية للمعالم	قيمة t	مستوي المعنوية
C	220523.3	214353.1	1.028785	0.3153
الإنفاق العام	4.436173	1.118452	3.966350	0.0007

المصدر: إعداد الباحثين من نتائج التحليل باستخدام برنامج E.Views

R^2(R-Squared) 0.95 F=115.4972

Prob (F.Statistic): 0.000000

DW: 1.5 White test: 0.1658

EG = 220523.3+ 4.436173 GE

فيما يلي تقييم لنتائج تقدير النموذج:

أولاً" تقييم النموذج وفقا" للمعيار الاقتصادي:

جدول رقم (5) نتائج التقييم الاقتصادي لدالة النمو الاقتصادي

المتغيرات	قيم المعالم	التقييم الاقتصادي
C	220523.3	يتفق مع النظرية الاقتصادية
الإنفاق العام	4.436173	يتفق مع النظرية الاقتصادية

المصدر: إعداد الباحثين من نتائج التقدير

يتضح من الجدول رقم (5) أن قيم وإشارات معالم الدالة تتفق مع النظرية الاقتصادية والدراسات التطبيقية وذلك على النحو التالي:

*قيمة الثابت بلغت (220523.3) وهي قيمة موجبة وتدل على قيمة النمو الاقتصادي عندما تكون المتغير المستقل تساوي الصفر.

*قيمة معامل الإنفاق العام بلغت (4.436173) وهي قيمة موجبة وتدل على وجود علاقة طردية بين الإنفاق العام والنمو الاقتصادي. أي كلما زادت النفقات العامة تزداد معدلات النمو الاقتصادي.

ثانياً: تقييم النموذج وفقا" للمعيار الإحصائي:

جدول رقم (6) نتائج التقييم الإحصائي للدالة

المتغيرات	قيمة t	مستوي المعنوية	النتيجة
C	1.028785	0.3153	عدم وجود دلالة معنوية
الإنفاق العام	3.966350	0.0007	وجود دلالة معنوية

المصدر: إعداد الباحثين من نتائج التقدير

R^2(R-Squared) 0.95 F=115.4972

Prob (F.Statistic): 0.000000

يتضح من الجدول رقم (6) لنتائج النموذج وفقا" للمعيار الإحصائي ما يلي:

(أ) معنوية المعالم المقدرة:

ثبوت معنوية جميع المعالم في الدالة ما عدا ثابت المعادلة حيث لا يعد ذلك شرطاً ضرورياً وفقاً للنظرية الإحصائية, حيث نجد إن مستوى الدلالة لجميع المعاملات ما عدا الثابت أقل من مستوى المعنوية 5% حيث بلغت قيمة (t) للثابت (1.028785) بمستوى معنوية (0.3153) وقيمة (t) لمعامل الإنفاق العام (3.966350) بمستوى معنوية (0.0007), وأن قيمة مستوى الدلالة المعنوية أقل من 5% وهذه دلالة على وجود علاقة إحصائية ذات دلالة معنوية بين (الإنفاق العام) (كمتغير تابع) والمتغير المستقل (النمو الاقتصادي).

(ب) معنوية النموذج:

ثبوت معنوية الدالة ككل عند مستوى معنوية 5% ويتضح ذلك من خلال قيمة F (والقيمة الاحتمالية لاختبار (F.Statistic) حيث بلغت قيمة F (115.4972) بمستوى معنوية (0.000000) وهي أقل من مستوى المعنوية (0.05)

(ج) جودة توفيق المعادلة:

يدل معامل التحديد R^2(R−Squared) على جودة تقدير الدالة حيث بلغ معامل التحديد (0.95) وهذا يعني إن 95% من التغيرات في المتغير التابع (الإنفاق العام) تم تفسيرها من خلال التغيرات في المتغير المستقل (النمو الاقتصادي)،

بينما (5%) من هذه التغيرات يمكن إرجاعها إلى متغيرات أخرى غير موجودة في النموذج ولكنها مضمنة في المتغير العشوائي، وهذه دلالة علي جودة توفيق العلاقة بين (الإنفاق العام) والنمو الاقتصادي.

ثالثاً" التقييم وفقا" للمعيار القياسي:

بعد أن اجتاز النموذج اختبارات النظرية الاقتصادية والإحصائية لابد أن تُجرى عليه الاختبارات القياسية أو ما يعرف باختبارات الدرجة الثانية وذلك من خلال التأكد من عدم وجود مشاكل القياس، وسوف يتم التأكد من المشاكل التالية:

1. **اختبار مشكلة الارتباط الذاتي:**

– تم التأكد من أن النموذج لا يعاني من مشكلة الارتباط الذاتي من خلال اختبار ديربن واتسون حيث نجد أن قيمة (D.W) والتي تم تقديرها للنموذج موضع الدراسة تساوي أو تقترب من القيمة المعيارية (S.V=2)، إذ بلغت قيمة ديربن –واتسوان (D.W) (1.5) في النموذج المقدر و تدل على عدم وجود مشكلة ارتباط ذاتي للبواقي.

2. **اختبار مشكلة اختلاف التباين أو (عدم ثبات تباين حد الخطأ):**

– ويدل اختبارِ (White) لاكتشاف مشكلة عدم ثبات تباين حد الخطأ إن النموذج المقدر لا يعاني من وجود هذه المشكلة حيث إن (Prob of F.Statistic) لمشاهدات النموذج غير معنوية إحصائياً عند مستوى الدلالة 5%، إذ بلغت قيمتها (0.1658) وبالتالي نقبل فرض العدم (H_0) أي عدم وجود مشكلة اختلاف في التباين و نرفض الفرض البديل (H_1).

وعليه نستنتج وفقا" لنتائج التقدير ما يلي:

مهما زاد أو انخفض مستوى الإنفاق العام من الناحية النظرية إلا أن الناحية الواقعية وهى الأكثر دقةً وتعد ذات منطق اقتصادي يمكن اتباعه أي أنه يحدث أثر إيجابي على معدلات النمو الاقتصادي, وكذلك تُشير الدلالة الإحصائية بين (الإنفاق العام) و(النمو الاقتصادي) على أن المتغير المستقل في النموذج يعد ذو أهمية بالغة في الاقتصاد السوداني.

تقدير نموذج تصحيح الخطأ:

نموذج تصحيح الخطأ لدالة النمو الاقتصادي

جدول رقم (7) نتيجة تقدير نموذج تصحيح الخطأ لدالة النمو الاقتصادي وفقاً لمنهجية (ARDL)

Prob	t- statistic	Std. Error	Coefficient	Variable
0.0000	7.709791	0.218840	1.687213	EG(-1)
0.1270	-1.599802	0.300522	-0.480775	EG(-2)
0.8144	-0.238165	0.532103	-0.126728	GE(-1)
0.0000	13.48865	0.546606	7.372978	GE(-2)
0.0029	-0.894505	5724.870	-5120.925	CoinEq(-1)

المصدر:من نتائج التحليل E-views

من الجدول رقم (7) نلاحظ أن النمو الاقتصادي يتأثر بالإنفاق العام لفترتين متباطئتين وبعلاقة طردية في الفترة السابقة، بينما يتأثر الإنفاق العام بعلاقة سالبة في الفترة الحالية ولم تثبت معنويته في نموذج تصحيح الخطأ، وإن معامل التصحيح سالب ومعنوي إذ بلغت قيمته (5120.925-) وهذا يدل على أن الانحراف عن العلاقة التوازنية في المدى الطويل للنمو الاقتصادي يتم تصحيحه بعد مرور سنة.

يتضح من الجدول (7) أن 99% من التغير في الإنفاق العام تم تفسيره بواسطة النمو الاقتصادي لفجوتين زمنيتين، والباقي وقدره 1% يعود لمتغيرات أخرى غير مضمنة في النموذج.

النموذج لا يعاني من مشكلة الارتباط الذاتي للأخطاء من خلال قيمة اختبار (Breush-Godfrey Serial Correlation LM Test) التي تبلغ (0.9483) وهي أكبر من 5% وبالتالي يتم قبول فرض العدم القائل بعدم وجود مشكلة ارتباط ذاتي للأخطاء.

مناقشة نتائج نموذج تصحيح الخطأ:

أثبتت الدراسة أن السياسة المالية تؤثر على النمو الاقتصادي في المدى القصير من خلال الإنفاق العام السابق الذي يؤثر سلباً على النمو الاقتصادي، ويؤثر إيجاباً في المدى الطويل.

مناقشة الفروض:

الفرضية الأولى: توجد علاقة طردية ذات دلالة إحصائية بين الإنفاق العام والنمو الاقتصادي.

بعد جمع البيانات من مصادرها بنك السودان المركزي والجهاز المركزي للإحصاء وفحصها للتأكد من سكونها باستخدام اختبار ديكي فولر، ثم استخدام طريقة المربعات الصغرى العادية والحصول على ميل موجب للنمو الاقتصادي ودلالة إحصائية معنوية, فتحققت الفرضية.

الفرضية الأولى: توجد علاقة توازنية بين الإنفاق العام والنمو الاقتصادي.

بعد جمع البيانات من مصادرها بنك السودان المركزي والجهاز المركزي للإحصاء وفحصها للتأكد من سكونها باستخدام نموذج تصحيح الخطأ لدالة النمو الاقتصادي وفقاً لمنهجية (ARDL) والحصول على علاقة توازنية في المدى الطويل للنمو الاقتصادي يتم تصحيحه بعد مرور سنة, قد تحققت الفرضية.

النتائج:

1. أثبتت نتائج الدراسة أن الإنفاق العام يؤثر سلباً على النمو الاقتصادي في المدى القصير، بينما يكون أثر الإنفاق العام على النمو الاقتصادي إيجابياً في المدى الطويل.
2. دل معامل التحديد على جودة تقدير النموذج، حيث بلغ معامل التحديد 95% وهذا يعني أن 95% من التغيرات في المتغير التابع (الإنفاق العام) تم تفسيرها من خلال التغيرات في المتغير المستقل، (النمو الاقتصادي) بينما 5% فقط يمكن إرجاعها إلى متغيرات أخرى غير مضمنة في النموذج.
3. وجود علاقة توازنية في المدى الطويل بين الإنفاق العام والنمو الاقتصادي.

التوصيات:

1. ترشيد الإنفاق العام مع توجيهه نحو القطاع الاستثماري حتى يساهم في زيادة الناتج المحلي الإجمالي.
2. تشجيع الإنفاق الاستثماري خاصة الاستثمار في قطاعات الاقتصاد الحقيقي بصورة تدعم الجهاز الإنتاجي مما يكون له أثر ايجابي على النمو الاقتصادي.
3. وضع سياسة إنفاقية طويلة المدى واضحة الأهداف تقوم على انتقاء المشاريع والخروج من سياسة تنفيذ المشاريع الإنفاقية ذات القيمة المرتفعة الأمر الذي يكون له تأثير سلبي على معدلات النمو الاقتصادي.

قائمة المصادر والمراجع:

1. جمال داود سلمان الدليمي،التنمية الاقتصادية نظريات وتجارب، القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية،، 2009.
2. الجهاز المركزي للإحصاء، تقارير مختلفة للفترة 1993-2018م.
3. ربحي مصطفى عليان – اقتصاد المعرفة، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية،. 2014.
4. سمير بن عباس، دراسة قياسية الأثر الإنفاق الحكومي على النمو الاقتصادي في الجزائر خلال الفترة1970 – 2009، رسالة ماجستير، تخصص نمذجة اقتصادية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة 2001- / 2012 .
5. عبد القادر غطاس بعنوان " أثر تحرير التجارة الخارجية على النمو الاقتصادي دراسة حالة الجزائر "الفترة الممتدة بين 1990- 2006.
6. عبد القادر محمد عبد القادر عطية،اتجاهات حديثة في التنمية، الإسكندرية: الدار الجامعية، ب.ط،،2003
7. عمر محمود أبو عيده، أثر الإنفاق الحكومي على النمو الاقتصادي في فلسطين، 2015.
8. العيسى، سلوى عبدالرحمن , بعنوان: أثر الإنفاق الحكومي على النمو الاقتصادي في المملكة العربية السعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة 2006.
9. كريم بودخدع، أثر سياسة الإنفاق العام على النمو الاقتصادي دراسة حالة الجزائر2001 – 2009, رسالة ماجستير في النقود والمالية، جامعة دالي إبراهيم الجزائر،2001 م.
10. محمد جبريل فضل الله 2012، أثر السياسة المالية على عوامل الاستقرار الاقتصادي في السودان
11. محمد عباس محرزي، اقتصاديات المالية العامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2003 .
12. محمد ناجي حسن خليفة، "النمو الاقتصادي- النظرية والمفهوم"، دار القاهرة للنشر، القاهرة،2001 .
13. محمود حسين الوادي -زكريا حمد عزام، مبادئ المالية العامة، دار المسيرة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى،2007 .
14. ميشيل توادر، " التنمية الاقتصادية"، ترجمة " حسين حسن حمود"، دار المريخ، الرياض،. 2006
15. هشام محمود الاقداحي، معالم الاستراتيجية للتنمية الاقتصادية والقومية في البلدان النامية، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة 2009.
16. Landau(1986),'Government and Economy Growth in the less Developed countries

السلطان علي دينار وسلطنة دار مساليت ومقاومتها للإستعمار الفرنسي 1898—1916م

آدم محمد حسن أبكر كبس

جـامعــة نيـــالا

المستخلص:

أجريت الدراسة بإقليم دارفور بهدف التعرف على السلطان علي دينار وسلطنة دار مساليت ومقاومتها للإستعمار الفرنسي وأظهار الجوانب المشتركة بينهما ومدي أثرها على سكان السلطنتين وتتبع تاريخهما واتحادهما ضد الغزو الفرنسي وسقوط كل منهما على يد الانجليز والفرنسيين، أهمية الدراسة تتمثل في أبراز مكانة سلطنة دار مسالت ووتوضيح دور السلطان علي دينار تجاه محاربة الفرنسيين ، اما مشكلة الدراسة فهي كيف كانت الأحوال السياسية في سلطنة دار مساليت قبل السلطان تاج الدين، ما التغيرات التى أحدثها سلاطين دار مساليت، تمثل طرق المعالجة في البحث العميق لسلطنة دار مساليت والسلطان علي دينار ودورهما ضد المستعمر. أهم النتائج: التراث الاسلامي البطولي الذي خلفه المساليت يعد زخيرة للمسلمين . رغم التنافر بين السلطنتين ألا ان هناك قواسم مشتركة بينهما في العادات والتقاليد، اما التوصيات فهي تشمل، جمع البحوث والدراسات المتعلقة بسلطنة دار مساليت والسلطان علي دينار. الاهتمام بموروث سلاطين المساليت وعلاقاتهم الخارجية.

Abstract:

The study was conducted in the Darfur region with the aim of identifying Sultan Ali Dinar and the Sultanate of Dar Masalit and their resistance to the French colonialism and showing the common aspects between them and the extent of its impact on the population of the two sultans and tracing their history and union against the French invasion and the fall of each of them at the hands of the English and the French. The importance of the study is to highlight the status of the Sultanate of Dar Masalit and to clarify the role of Sultan Ali Dinar in fighting the French. The problem of the study is how the political conditions were in the Sultanate of Dar Masalit before Sultan Taj al-Din, what changes were made by the sultans of Dar Masalit, representing the methods of treatment in the deep research of the Sultanate Dar Masalit and Sultan Ali Dinar and their role against the colonizer. The most important results: The heroic Islamic heritage left by the Masalit is a source of wealth for Muslims. Despite the dissonance between the two sultanates, there are common denominators between them in customs and traditions. As for the recommendations, they include collecting research and studies related to the Sultanate of

Dar Masalit and Sultan Ali Dinar. Interest in the legacy of the Masalit sultans and their foreign relations.

مقدمة:

ألقت الدراسة الضوء علي الحقبة التاريخية لسلطنة دار مساليت في غرب السودان والسلطان على دينار ومدي علاقتهما بالاستعمار الفرنسي وأهمية دار مساليت للسلطان على دينار واتسمت العلاقة بينهما تارة بالسلم وتارة بالحرب، حيث عرفت دار مساليت باستقلاليتها عن سلطنة دارفور وبدفاعها المستميت عن أراضيها.

أهداف الدراسة:

1. الوقوف على العلاقة بين سلطنة دار مساليت والسطان علي دينار.
2. إبراز أهمية دار مساليت للسطان علي دينار.
3. التعرف على نوع الصراع بين السلطنتين.
4. إظهار سلطنة دار مساليت في عهد السلطان علي دينار.
5. التعرف على مقاومة المساليت للفرنسيين وأثره على نفوذ السلطان علي دينار
6. توضيح الجهود والأحلاف المشتركة بين السلطنتين لمقاومة التهديدات الخارجية
7. الإضافة العلمية لتاريخ السودان.

المشكلة والتساؤلات:

ستجاوب هذة الدراسة عن الأسئلة التالية:

1. كيف كانت الأحوال السياسية في سلطنة دار مساليت قبل السلطان تاج الدين؟
2. ما التغيرات التى أحدثها سلاطين دار مساليت؟
3. ما أهمية سلطنة دار مساليت بالنسبة للسلطان على دينار؟
4. ما الجهود المشتركة لتكوين حلف بين السلطان على دينار وسلطنة دار مساليت ضد النفوذ الفرنسي القادم من تشاد باتجاه سلطنة دارفور ودار مساليت؟

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي بغرض جمع المعلومات وتحليل الحقبة المتعلقة بالسلطان على دينار، وسلطنة دار مساليت ومقاومتهما للاستعمار الفرنسي ثم عرض نتائجها.

أهمية الدراسة:

1. تنبثق أهمية اختيار الموضوع من واقع المرحلة التاريخية التي استوعبها البحث، وهي المدة التي خضعت للسلطنتين.
2. تظهر أهمية الدراسة في كشف جوانب غموض هذه المشكلة وتفتح الباب أمام الباحثين للقيام بمزيد من البحوث والدراسات العلمية الجادة بغية الوصول إلى نتائج إيجابية.
3. تنبع أهمية الدراسة من الإرث التاريخي والحضاري والعلمي الذي تتمتع به السلطنتين.

الدراسات السابقة:

1. دراسة الصادق عبد الرحمن زكريا 2006م، السلطان علي دينار وعلاقته بالحكم الثنائي،ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الفاشر، أوضحت الدراسة العلاقة بين السلطان علي دينار والإنجليز، إلا أنها لم تتطرق لسلطنة دار مساليت.
2. ابراهيم يحي محمد2005،تاريخ سلطنة دار مساليت تناولت الدراسة تاريخ دار مساليت عبر العصور إلا أنها لم تتناول العلاقة مع السلطان علي دينار.

   حسن مكي محمد احمد،2001م، السلطان علي دنيار اخر سلاطين الفور، ورقة مقدمة في مؤتمر علمي تناول فيها سيرة السلطان ولم يشر فيها لدار مساليت.
3. أحمد عبد القادر أرباب 1990م، تاريخ دارفور عبر العصور، تناول الكاتب تاريخ دارفور عبر الحقب المختلفة بما فيها عصر السلطان علي دينار.

موقع الدراسة الحالية من الدراسات السابقة:

تعد الدراسة الحالية دراسة مشتركة بين سطلنة دار فور ودار مساليت وتطور العلاقة بينهما في أوقات السلم والحرب وتمثل إضافة جديدة لدراسة سلاطين غرب السودان، وما يميز هذه الدراسة من الدراسات السابقة أنها تناولت العلاقة بين السلطان علي دينار وسلطنة دار مساليت عكس الدراسات السابقة التي اقتصرت على سلطنة واحدة فقط، عموماً الدراسة الحالية تمثل إضافة للدراسات التاريخية والاجتماعية للحفاظ على الإرث الثقافي.

نشأة سلطنة دار مساليت وتطورها التاريخي:

تعد قبيلة المساليت من كبرى القبائل السودانية التى يتجاوز عدد سكانها أكثر من أربعة ملايين ونصف مليون نسمة تقريباً، وتتمتع قبيلة المساليت بإرث تاريخى كبير وضخم وما يؤكد ذلك أن قبيلة الوادي المجاورة لهم قد وضعت تمثالاً تذكارياً لسلطان المساليت تاج الدين فى أبشي التشادية تكريماً وتبجيلاً له ولقبيلته التى ناضلت من أجل بقاء غرب السودان خارج النفوذ الفرنسي وتمتد دار مساليت من عاصمتهم الجنينة إلى جبل مرة شرقاً وشمالاً إلى دار قمر بمنطقة بركة سايرة وغرباً إلى وداى دار برقو وجنوباً فور برنقا وتجاور سلطات دار سلا ودار تاما ودارقمر ودار برقو، وتعد قبيلة المساليت من القبائل الأفريقية الأصيلة التى لها تراثها التاريخى وموروثها الثقافى والاجتماعى ولها لغتها الأفريقية المتميزة بنبراتها من بين جميع اللغات الأفريقية الأخرى وكان المساليت من ضمن السكان الذين أسسوا دولة البرنو الإسلامية وشاركوا مع قبيلة البرقو فى إقامة دولة الوداي الإسلامية وتربطهم رابطة تاريخية ومصيرية وتضم دار مساليت قبائل المساليت والبرقو والسنجار والبيقو والبرنو والمحاميد والماهرية والفلاتة وكل هذه القبائل تتبع لإدارة السلطنة (1)

أصل المساليت:

أجمع المؤرخون من خلال المصادر المكتوبة عنهم ومن مثقفيهم وقياداتهم الذين أجمعوا على أن أصل المساليت ينتهي بنسبتهم إلى العرب المستعربة عرب الشمال فهم في جذروهم عرب خلص وأنهم خرجوا من جزيرة العرب مع الفتوحات الإسلامية الأولى حيث كانوا في معية طارق بن زياد وموسى بن النصير وعقبة بن نافع وغيرهم من قادة وكتائب المسلمين الأولى التي حملت مشاعل الإسلام لمجاهل أفريقيا وتخوم أوروبا. وبعد فقدان الأندلس رجع المساليت ضمن العديد من القبائل والجيوش الإسلامية فدخلوا المغرب العربي وتونس وليبيا وكثيراً من مناطق غرب أفريقيا، وقد شاركوا وساعدوا في إقامة العديد من الدويلات الإسلامية حيث كانوا من ضمن المؤسسين لدولة البرنو الإسلامية والتي دامت لأكثر من تسعة قرون حتى انشطرت بفعل الاستعمار إلى عدة دول كنيجيريا والنيجر وساحل العاج وتشاد وغيرها. حيث ذابت العديد من فروع المساليت في الكيانات القبلية والإقليمية بتلك الدول. وكذلك لعبوا دوراً مقدراً ساهموا في إقامة دولة البرقو الصليحاب الإسلامية ورغم التزاوج مع العديد من القبائل الأفريقية واختفاء الكثير من الملامح والسحنات العربية إلا أن عادات وتقاليد وأعراف المساليت قد ظلت إسلامية عربية خالصة.

للمساليت تاريخ ناصع ومجيد يضيق حيزنا عنه لأن القبيلة وبعد أن استقرت أنشأت أول إمارة لها كإمارة مهدية تقوم على المنهج الرباني والسلوك الحياتي لكل أفراد القبيلة الذين كانوا شديدي التمسك بتعاليم الإسلام فكل حواضر وقرى المساليت تعمر بخلاوي القرآن الكريم وهم لا يتساهلون مع أولادهم وبناتهم وتنشئتهم على تعليم القرآن وعلومه حتى أنهم ولوقت قريب لا يختنون أطفالهم قبل أن يحفظوا القرآن الكريم عن ظهر قلب. وقد جعلوا الكثير من القبائل والأجناس أن تتأسى بهم وتنتهج نهجهم، فهم قبيلة مضيافة ومسالمة ويجد الغريب وسطهم الأمن والطمأنينة الأمر الذي جعل أعراقاً وأجناساً كثيرة تذوب في بطونهم وفروعهم المختلفة وتتصف بنفس العادات والتقاليد والإتزامات الاجتماعية لأفراد عموم القبيلة حتى عمرت المساليت في وقت وجيز بالعديد من الأجناس والأعراق والجماعات التي وفدت للديار من جهات وقبائل شتى فاحتوتها القبيلة بالمعاملة الكريمة. ولا يستطيع المرء التمييز بين أولئك الداخلين في الكيان و المنصهرين الذائبين في بطون القبيلة العريضة والتي دوماً ما تكون الملاذ والمأوى والمأمن للذي يقصد ديار المساليت فيجد بها السعة والترحاب وبالتالي عرف مجتمعهم بالمحبة والتسامح وروح المعاشرة الطيبة والإخاء فقبيلة المساليت وبحكم تمسكها بالدين وتعاليمه لا تعرف العنصرية ولا العصبية حتى اشتهرت منطقتها بالسلام والأمن ورغد العيش فقصدتها جماعات وقبائل شتى كثير منهم جاءت إلى ديار المساليت هاربة من ويلات الصراع القبلى (2)

النظام الإدارى لسلطنة دار مساليت:

للمساليت نظام دقيق يربط القبيلة برباط لا يهمل فيها فرداً واحداً وسط القبيلة حيث يتكون الهيكل الاداري الهرمي من السطان يليه الفرش أو العمد ثم الدمالج ثم الشيوخ (3).

سلاطين دار مساليت:

المساليت فى ظل السلطان هجام حسب الله:1874–1885م

لم يكن توحيد المساليت على أية حال نتيجة منطقية، أو رد فعل طبيعي لسقوط سلطنة كيرا؛ فليس هناك دليل على أن التخلص من حكم الفور كان هو الحلم الذي يراود المساليت؛ كما أن اعتلاء هجام حسب الله للقيادة لم يتم في إطار موجة من الشعور الوطني للمساليت، بل جاء توحيدهم منسجماً مع تقاليدهم الممارسة، كما يتضح من الصلح والمناسبة التي وحد فيها السلطان هجام القبيلة في تنظيمه وليمة عظيمة تحت ظل شجرة كبيرة في أحد الوديان، نحرت فيها العديد من

الثيران ووجهت الدعوة للمشاركة فيها لمختلف أفرع القبيلة المتنازعة. وعند اكتمال حضور ممثلي الأفرع المختلفة، الذين ظن أي منهم في البداية أنه هو الوحيد المدعو للوليمة، وكان الخيار الذي طرحه هجام عليهم هو إما أن يطلق عليهم النار في الحال وإما أن يشاركوا في الصلح ويغفروا ويتناسوا كل الدماء التي سالت من قبل.

ربما تلقي هذه الحادثة بعض الضوء على شخصية هجام حسب الله، والذي عرف بأنه شخص قوي وشجاع كان هجام في نظر قوات الحكم التركي المصري في دار مساليت، واحداً من (ملوك) القبيلة. لكن بالنسبة للمساليت ألقت عليه مساعدته لجباة الضرائب الترك) تبعات سياسية سالبة. فعندما حضر النور عنقرة إلى ديارهم، قرر فرش دار مساليت الأربعة المقاومة؛ غير أن الفقيه إسماعيل عبد النبي، شيخ خلوة ديرجيل، كتب خطاباً مسالماً لممثل الحكومة، وعد فيه بتقديم عبيد وأبقار مقابل الأمن والأمان للقبيلة. وبما أن إسماعيل عبد النبي كان فقيهاً وشيخ خلوة، ولا يملك الكثير بالطبع، فقد تعهد هجام حسب الله بتنفيذ ذلك الوعد ؛ وكان المقابل الذي ناله هو اعتراف الحكام به رئيساً للمساليت(4)

بالرغم من صعود إسماعيل عبد النبي إلى مركز القيادة لاحقاً، فإن ذلك لم يقلل من حقيقة أن هجام حسب الله قد كسب اعتراف المساليت به نتيجة لاضطلاعه بمسئؤولية تمثيلهم في التعامل مع النظام الجديد. وبالمثل كسب هجام اعتراف الحكام به كممثلهم في التعامل مع المساليت. كذلك كان الحكام الجدد مقدرين لهجام دوره في اجتثاث مقاومة الفور التي كان يقودها سلطان الظل هارون؛ و قد تمثل ذلك التقدير في إنعامهم عليه بلقب (بك)، وبتحويل (نحاس) هارون إليه، وفي ذلك قيمة رمزية عظيمة، إذ كان ذلك يعني الاعتراف به كحاكم أو حتى كسلطان للمساليت(5) ما كان لإدارة هجام حسب الله أن تبدأ من الصفر، حيث كان هناك دائماً (ملوك) تقليديون متعودون على طاعة حكامهم. وبينما استمرت علاقات هجام بالنظام التركي المصري جيدة، إلا أن صداماته مع حكام سلطنة كيرا السابقين لم تنقطع. وكانت له مشكلات أيضاً على الحدود الغربية. لكن رغم ذلك فإن عهده قد اتسم بفترة ساد فيها سلام نسبي(6)

لم يكن يشار إلى هجام بالسلطان، بل كان لقب (البك) هو السائد عند الحديث عنه. وهو، وإن لم يكن المؤسس لسلطنة المساليت (التي جاء تأسيسها لاحقاً في عام 1884م)، إلا أنه هو الذي مهد لها وبشر بها. وفي الواقع كان هجام حسب الله يتعامل وكأنه سلطان، حيث كان له (نحاس) – كما ذكر سابقا– والذي يعد رمزاً من رموز السلطة دار

مساليت. وثانياً كانت لهجام سلطة الحكم بالإعدام، (والتي مارسها فعلاً)، وهي كان يتمتع بها سلطان الفور. كذلك وضع هجام نفسه موضع السلطان بمنحه أشخاصاً حق إدارة القرى، وباقتطاعه أرضاً لآخرين على سبيل الهبة. إن هجام يستحق أن يوصف بأنه موحد المساليت؛ فقد نجح من خلال موقعه القوي، في إجبار القبيلة للحفاظ على الأمن(7)

من أسباب التمرد على هجام وسقوطه، الضرائب الباهظة المفروضة في عهده و التي كان من المستحيل عليه إرضاء رعاياه من أهله من ناحية، وإرضاء رؤسائه من الحكام الترك من الناحية الأخرى في نفس الوقت. كذلك كانت قسوته وظلمه من العوامل المهمة التي قادت لسقوطه. فقد كان يقوم بإعدام معارضيه – حتى وإن كانوا من أهله المقربين – بتصفيدهم والإلقاء بهم في وادي كاجا أثناء فترة اندفاع السيل بقوة. وأخيراً يمكن القول أن سقوط هجام كان نتيجة طبيعية لسقوط النظام الذي ارتبط به إثر انتصارات المهدية (8)

إسماعيل عبد النبي مؤسس سلطنة المساليت: 1884–1888م

هناك ارتباطاً ملحوظاً بين سلطنة المساليت ودولة المهدية؛ فكلاهما دولة قائمة على العقيدة، ومؤسسة وفقاً لنظام مركزي صارم. وقد تزامن قيام سلطنة المساليت مع سقوط النظام التركي المصري على يد ثوار المهدية. وكان مؤسس سلطنة المساليت إسماعيل عبد النبي أحد عمال النظام المهدوي الجديد؛ وقد استغرق ابنه وخليفته أبكر جل وقته في معارك أيدولوجية مع السلاطين المجاورين، مدافعاً عن وضع بلاده الجديد، ووضعه الجديد هو شخصياً كذلك، مستنداً في ذلك على عقيدته المهدوية. ولقد تمكن المساليت من تقوية سلطنتهم من خلال الحراك السياسي والدبلوماسية الذكية، مستفيدين من ظروف الصراع والحروب التي نشأت بين جبهة الغرب ودولة المهدية(9)

لقد قام حاكم دارفور من قبل دولة المهدية، محمد خالد زقل، قبل مغادرته الفاشر في يناير 1886م بتعيين إسماعيل عبد النبي عاملاً للمهدية ومسؤولاً عن المناطق الغربية لدارفور حتى حدود وداي (تشاد). وكان في ذلك التعيين تأكيد للاعتراف السابق (في 1885م) بإسماعيل كرئيس للمساليت؛ خاصة وأنه كان في غاية الإخلاص للمهدية.(10)

والدليل على ذلك أنه عندما ظهر المهدي ذهب إسماعيل وبعض من عشيرته لزيارته في كردفان (قدير والأبيض)؛ وعاد ليبشر برسالة المهدي الدينية الجديدة، ويعلم المساليت الشهادة والجلالة كما طلب منه المهدي ذلك. استمر حكم إسماعيل لمدة أربع سنوات حكم فيها دار مساليت والمنطقة التي تسكنها المجموعات العربية في الشمال الشرقي. (11)

غادر إسماعيل دار مساليت في مايو 1888م، عندما تم استدعاؤه من قبل الخليفة عبد الله التعايشي إلى أم درمان. كما أفادت بذلك وثائق المهدية، من أن السبب وراء ذلك الإبعاد هو تنامي قوته. لكنه – وبينما ظل على إخلاصه للمهدية – بدأ يشعر بالإحباط وهو يرى التغييرات التي أخذت تحدث منذ وفاة المهدي في يونيو 1885م، والمتمثلة في التطلع للسلطة والمكاسب الدنيوية، بعيداً عن مثاليات المهدي الدينية ونقائه. ومن المؤهلات الرئيسية التي أهلت إسماعيل عبد النبي للزعامة، كونه فقيهاً يعمل تحت نظام جديد مؤسسه فقيه هو الآخر، ألا وهو محمد أحمد المهدي، والذي كان إسماعيل أحد عماله. وقد عرف عن إسماعيل اهتمامه بتعاليم الدين والعقيدة المهدوية؛ فهو قد علم المساليت ترديد الشهادة، كما ذكر سابقاً، وأمر الناس بالانتظام في الحضور للصلاة في المساجد، والالتزام بالصيام في رمضان. كما منع التمباك والمريسة، وطبق توجيهات المهدي بتخفيض المهور. كذلك حارب بعض الممارسات الاجتماعية التقليدية، المتمثلة في الطقوس الدينية ذات الجذور الوثنية، والتي كانت تمارس أمام أحجار معينة، أو في قمم الجبال، أو في الكهوف، والأشجار الكبيرة، طلباً للمطر أو المنافع الأخرى. وقد أغلق إسماعيل الطريق المؤدي إلى مزار (حجر جاركوني)؛ ومن بعده قطع السلطان تاج الدين (شجرة بيدا) لوضع نهاية للطقوس الوثنية التي كانت تؤدى تحتها. وعلى الرغم من أن نفوذ إسماعيل عبد النبي، قبل أن يصبح سلطاناً، كان قائماً على مكانته كفقيه قبل أن يصبح سلطاناً، إلا أنه برز كرجل دولة بعد عام 1884م، بتأسيسه سلطنة المساليت ووضعه القواعد القوية لمؤسساتها الرئيسة.(12)

بعد سقوط النظام التركي المصري عاد الجنود من أبناء المساليت الذين كانوا يعملون في خدمة ذلك النظام إلى ديارهم، حيث أخذوا في تقديم خدماتهم للسلطان إسماعيل عبد النبي، وساندوه بكل ما امتلكوه من سلاح ناري ومن مهارات عسكرية. ورغم أن هؤلاء كانوا جنوداً عاديين عندما كانوا في خدمة النظام التركي المصري، إلا أنهم أصبحوا من الشخصيات المهمة في بلاط السلطان إسماعيل، ومصدر قوة له؛ وهو قد وضع بعضهم في مناصب إدارية هامة. كذلك انضم إلى مساندة السلطان إسماعيل بعض المعارضين للحكم التركي المصري من الذين كانوا قد لجأوا لدار مساليت، ومنهم قضاة وفقهاء. وهكذا قوى إسماعيل من نفوذه باستيعابه عناصر مؤسسة الحكم التركي المصري وإدارته، مستبعداً بالطبع من يشك في أنهم قد يشكلون خطراً على سلطته. أما الفئة الثالثة التي قدمت سنداً للسلطان إسماعيل كانت فئة الفقهاء ورجال الدين.

حكم السلطان إسماعيل عبد النبي لمدة أربع سنوات (1884 – 1888م). ورغم أنه هو الذي وضع الأسس للإدارة الداخلية للسلطنة، إلا أن ابنه أبكر قد قام في العقد الأول من فترة حكمه بتعزيز مكانة السلطنة داخلياً وخارجياً وتطوير مؤسساتها.(13)

السلطان أبكر إسماعيل (1888 – 1905م)

لقد جمع هذا السلطان ما بين مجموعتين من الانتماءات الأيديولوجية،وهما الإسلام الذي أعطى حكمه سمته الأساسية من ناحية، والتقاليد السودانوية من الناحية الأخرى، خاصة في تحديدها للعلاقة بين الحاكم ورعاياه. فبينما قدمت سلطنة المساليت نفسها لجيرانها على أنها دولة مهدوية مصغرة، إلا أنها كانت منظمة داخلياً كدولة سودانوية على نمط سلطنة كيرا في دارفور. وفي الوقت الذي كان فيه هجام حسب الله ممثلاً للنظام التركي المصري، وإسماعيل عبد النبي عاملاً لدولة المهدية، كان أبكر سلطاناً كاملاً بمكانة مساوية للسلاطين في السلطنات المجاورة (وإن كان في مكانة أقل من السلطان في سلطنة وداي).ولقد عزز السلطان أبكر من سلطته بانتهاجه الأسس التي أرساها والده إسماعيل؛ وجعل من نفسه سلطاناً بلا منازع(14).

وعلى النقيض من والده إسماعيل، فقد كان السلطان أبكر متعجرفاً وحاد المزاج وقاسي فبينما كان في بداية عهده لصيقاً بالناس بمختلف رتبهم الاجتماعية، وكانوا يحبونه ويستقبلونه دائماً بعبارات الود والترحاب، إلا أنه مع مرور الزمن غير من ذلك النهج؛ وأصبح يلوذ بقصره (الدانقة – وهي مبنى من الطين من طابقين)، يطل منه على عاصمة سلطنته وما حولها. ولقد اتخذ أبكر كامل المظاهر الخارجية للسلطان، بما في ذلك إبقائه على فئة الموظفين الذين يرتبطون تقليدياً بالسلاطين، واستخدامه للنحاس (والذي غنمه من الأنصار)، بدلاً من الجرس (مندكورا) الذي كان مستخدماً في عهد والده إسماعيل. لم يشتمل قصر السلطان أبكر فقط على (الدانقة)، والتي هي على نمط القصور في الحزام السودانوي) الشرقي، بل كانت ملحقة بالقصر أجنحة منفصلة للرجال وللنساء، مثلما كان سائداً في بلاط سلاطين الفور في الفاشر. وكان للسلطان أبكر عدد كبير من الزوجات ومن ملك اليمين (حاز على عدد منهن من الفاشر إثر حملته على الأنصار).(15)

حملة السلطان أبكر للفاشر عام 1904م التي حاز فيها على زوجاته وسبب تلك الحملة أراد السلطان علي دينار أن يضم دار مساليت إليه، وتحرك السلطان أبكر ودخل الفاشر وحدث ما حدث وترتب على تلك الحملة باعتراف السلطان علي دينار بدار مساليت وبدأ بتغير علاقته معهم نحو الأحسن.

كان السلطان أبكر محاطاً بعدد من المسئؤولين من حملة الألقاب الرفيعة. ويأتي على رأسهم الوزير، والذي هو في تقاليد دار مساليت الذي ينصح السلطان في الشئوون العسكرية، ويتولى القيادة عند الحرب. وله أيضاً عدد من الأمناء، وهم من موظفي وخدم البلاط الموثوق بهم والمقربين. لم تكن لهؤلاء الأمناء مهام محددة؛ فهم يؤدون خدمات متنوعة في القصر، مثل تكليفهم بتوصيل الرسائل وغير ذلك من المهام. لكن أهمية هؤلاء الأمناء أنهم يمثلون رمزاً من رموز السلطة. كان السلطان أبكر مدركاً لأن الدولة بحكم وظائفها ومهامها تحتاج إلى وجود طبقة من رجال الحكم، وأن وضع القواعد الأساسية للسلطنة يتطلب تكوين هذه الطبقة. غير أن هذا النظام المركزي الجديد يختلف في أوجه كثيرة عن نظام المساليت التقليدي (الملوكية والفرشة). مع نشوء السلطنة اقتصر استخدام لقب (باسنقا) أولاً على المقربين من أهل إسماعيل (أشقاؤه وأعمامه)؛ وامتد استخدام اللقب ليشمل المنحدرين من سلالة الحكام التقليديين الآخرين. كما استخدم لقب (باسي) للأفراد الذين أصبحوا على صلة وثيقة بالسلطان دون أن يكونوا من أهله المقربين.العنصر الثالث في سياسة السلطان أبكر الرامية لتقوية ومركزية سلطنته كان استخدامه (الجهدية)، والذين هم الجنود من (الارقاء) ذوي المهارة في استخدام السلاح الناري. ولم يكن السلاح الناري و(الارقاء) الذين لديهم الخبرة في استخدامه من الظواهر الجديدة في ذلك الوقت في دار مساليت. حتى الفترة التي استلم فيها المساليت على الكميات الكبيرة من السلاح الناري ومن (الأرقاء) أثناء حروبهم في ذلك العقد (تسعينات القرن التاسع عشر)، لم يكن لهم كيان من المحترفين للجندية. كان الجزء الرئيسي من (جهدية) السلطان أبكر من الجنود الذين استبقى عليهم بعد طرد حامية المهدية من دار مساليت.،عمل هؤلاء (الجهادية) في البداية كحراس شخصيين للسلطان أبكر.(16)

عملوا كأداة من أدوات السياسة الداخلية،خاصة وأن الجهادية لم تكن لهم أهمية كبيرة في ذلك الوقت،حيث إنه في حالات الحرب كان المحاربون المشاة من المساليت يفوقونهم عدداً، وكان الخيالة من نبلاء المساليت يفوقونهم أهمية. كانت

أهميتهم الكبرى تكمن في كونهم أداة من أدوات السياسة الداخلية. فبما أن السلطان يعيش في (درجيل)، ويدير البلاد من العاصمة، فإن المقادم (مفردها مقدوم) والذين كان يتم اختيارهم من (الجهدية)، كانوا هم الذين يمثلونه كوكلاء له في المناطق الأخرى. غير أن المساليت قد ضاقوا بهم، نظراً للسلطات الكبيرة التي منحها السلطان أبكر لهم. وبشكل خاص ضاق بهم أفراد قبيلة السلطان، الذين أحسوا بأن السلطان لا يريد إشراكهم في السلطة، وأنه بدأ يخالف سياسة والده السلطان إسماعيل الذي كان يخصهم بمواقع مؤثرة في الحكم.(17)

من سياسة السلطان أبكر الرامية إلى تقوية سلطة الدولة، كان قد بسط سيطرته على التجارة الخارجية، والتي كانت تشكل مجالاً اقتصادياً منفصلاً، وهي كانت بشكل عام تحت سيطرة الدولة في جميع أنحاء الحزام السودانوي الشرقي، كما يؤكد ذلك تطور التجارة في سلطنة المساليت في عقد التسعينات (من القرن التاسع عشر). فالمساليت في عهد سلطنة دارفور لم يكونوا مشاركين في التجارة عبر الطريق الرئيسي بين سلطنتي (وداي) ودارفور، والذي يمر بشمال ديارهم. لكن مع نشوء سلطنة المساليت تغير ذلك الحال؛ ففي عهد السلطان إسماعيل والسلطان أبكر أصبحت العاصمة الجديدة (درجيل) مركزاً للتجارة عبر المسافات البعيدة. وحيث إن الثورة المهدية كانت قد أثرت على انسياب التجارة بين مصر ودارفور، وبين دارفور ووداي (تشاد)، فقد أصبحت (درجيل) هي المحطة الطرفية الجنوبية للتجارة عبر الطريق الصحراوي القادم من بنغازي عبر الكفرة إلى ودار مساليت ودارفور. كانت سيطرة السلطان على التجارة الخارجية نابعة من حاجته لمنتجاتها من أجل بلاطه، ومن أجل إشباع حاجات رجال الطبقة الحاكمة؛ ومن مقدرته على تكوين كميات كافية من سلع التصدير المرغوبة؛ ومن استطاعته على توفير الحماية التي يطلبها التجار من الفزان والجلابة ولم يكن في مقدور أي قافلة الدخول لدار مساليت دون إذنه. وقد كانت معظم السلع الأجنبية تباع في (درجيل) مقابل العاج وريش النعام وقرن الخرتيت وحيد القرن والجلود. وقد أسهمت محدودية سلع التصدير في السيطرة على التجارة.(18)

حروب المساليت التاريخية:

المتتبع لتاريخ المساليت المليء بالإرث الجهادي البطولي يصعب عليه وبدقة أن يرصد حروبهم التاريخية، ولكن إذا أخذنا حروبهم ذات البطولات النادرة ضد الاستعمار منذ نهاية القرن السابع عشر نجد بطولات خارقة قد سجلها المساليت استطاعوا قهر المستعمر في آخر المطاف فخلصت لهم ديارهم فصارت حرة مستقلة وسط سطوة الاستعمار وجبروته.

وعلى سبيل المثال لا الحصر نأخذ معركتين مصيريتين حاسمتين شرستين خاضهما المسا ليت بضراوة ضد الاستعمار الفرنسي الأولى جرت أحداثها الدامية عام 1909م وسميت بمعركة كريندنق فقد جمع الفرنسيون لها حشوداً كبيرة بقصد قهر المساليت وتشتيتهم وكسر شوكتهم وضم ديارهم عنوة لنفوذهم بالسودان الفرنسي (تشاد حالياً) وقد سكت الإنجليز يومها باعتبار أن أرض المساليت واقعة تحت النفوذ الفرنسي حسب الاتفاق الأوربي، فجلب الفرنسيون لتلك الحرب أحدث ما جادت به مصانع السلاح الأوربي فجاءوا بآلاف من الجنود الفرنسيين وآلاف من الجنود من جيوش الدولة الواقعة تحت النفوذ الفرنسي واستعد رجال المساليت لتلك المعركة استعداداً تاماً قيل إنه لم يسبق له مثيل، وقيل إنهم وضعوا خطة حربية خادعة استطاعوا بها جر الجيوش الفرنسية إلى مناطق غابات ووديان وعرة بينما اختفى فرسانهم على جنبات الوديان والخيران مختفين تحت الحشائش والأشجار حتى توسط الجيش الفرنسي الكبير لموقع الهجوم وفي لحظة انقضَ آلاف الفرسان وبأسلحة بدائية من حراب وسفاريك وعصى غليظة وبنادق عديدة حيث قيل إن صيحات المحاربين الأشداء من رجال المساليت وصيحات الحرب التي ترددها الآجام والوديان قد زرعت الرعب الشديد لدى الفرنسيين حيث قيل إن الرعب لم يمكنهم من استعمال أسلحتهم من جراء المباغتة والهجوم الكثيف وبتلك الخدعة تمكنوا من إبادة الجيوش الغازية عن بكرة أبيها وقتل قائدها الفرنسي الكولونيل فلقنشو وقدم المساليت أعدادا كبيرة من الشهداء وغنموا كثيراً من الأسلحة والعتاد (19)

أما المعركة الثانية هي معركة دورتي التي يتغنى المساليت بأمجادها وأفضالها حتى اليوم فقد كانت نتائج كريندنق التي أبيد فيها الجيش الفرنسي بأكمله وذبح قائده مخيباً لآمال الفرنسيين واستقبلها المجتمع الفرنسي بكثير من الإحباط والدهشة لذا أستعدّ الفرنسيون لمعركة ثأرية تأديبية ترد للمقاتل الفرنسي هيبته وتدخل الخوف والهلع في نفوس الافارقة. أما المساليت فقد نوى الفرنسيون قلعهم من ديارهم وتشتيتهم في جميع الأصقاع ليصيروا مثالاً للذل والهوان. وهكذا استعد الفرنسيون لمعركة دورتي الثأرية استعدادًا لم يتركوا وسيلة للدمار يومها إلا وأحضروها لتلك المعركة التي حسبوا أنها سوف تكون الفاصلة، وفي المقابل حسب المساليت للمعركة حساباتهم كلها وجمع سلطانهم المجاهد محمد تاج الدين قادة كتائب الجهاد من جميع بطون القبيلة ومن تحالف معها واستفادوا من الأسلحة التى استولوا عليها في معركة كريندنق وجاءت القبيلة بغضها وغضيضها وقيل

أن السلطان المجاهد محمد تاج الدين قد رد على رسالة قائد الحملة الفرنسية الكولونيل موذات باللهجة التهكمية والاستفزازية برد من جملة واحدة هي (انصرف أيها الكافر وإلا فإن إسود المساليت جوعى وعطشى للشهادة في انتظارك) فدارت المعركة وقيل إنها استمرت لأيام استطاع المساليت أن يقضوا على الحملة الفرنسية جميعها وقتلوا قائدها ذبحاً بعد أن أسروه وفي المقابل فقد المساليت آلاف من الشهداء وعلى رأسهم السلطان المجاهد محمد تاج الدين بعد هاتين المعركتين الحاسمتين انصرف الاستعمار عن دار المساليت بل إن الإنجليز والفرنسيين قد اتفقوا وهم يرسمون الحدود بين السودان والسودان الفرنسي (تشاد حالياً) أتفقا على أن تكون أرض المساليت أرض حرة ولمساليت مطلق الحرية في أن ينضموا إلى السودان أو السودان الفرنسي أو يبقون على الحياد وبعدها وقعت اتفاقية قلاني عام 1920م وهى تلك الإتفاقية الطوعية التى بموجبها انضمت دار مساليت بكامل حريتها للسودان(20)

سلطنة دار مساليت في عهد السلطان علي دينار ونوع العلاقة بينهما:

اتسمت العلاقة بين سلطنة دار مساليت والسلطان علي دينار سلطان دارفور بالعداء في المعارك الأولى خاصة بين قبائل المساليت والفور، وبعد استرداد المساليت مناطقهم وقراهم وهزيمة جيش السلطان علي دينار ومقتل قائدة قمر الدين البرتاوي أمر السلطان علي دينار بقتل السلطان أبكر وإخوته المأسورين بالفاشر.(21)

إلا أن علي دينار قد رأى بأن دار مساليت لم من السهل ضمها فتراجع عن خططه وسياساته الحربية وطلب الصلح مع سلطان دار مساليت وأرسل وفداً من الفاشر لمقابلة السلطان تاج الدين وأقسم علي دينار لوفده أن لا يخون ولا يعود للحرب، وأن تكون العلاقات بين البلدين علاقات حميمة وطيبة، ووصلت الأخبار للسلطان تاج الدين بأن السلطان علي دينار قد أقسم علي حشوة قطن فأبدي تاج الدين شكوكة في الصلح فعاد الوفد للفاشر حاملاً آراء تاج الدين، فكتب علي دينار خطاباً يؤكد فيه صدق القسم النية والصلح قائلا: (أنه لا يخاف تاج الدين بل يخاف الله وأنه حلف علي سبع مصاحف وأن على تاج الدين أن يرسل وفده إليه في الفاشر ليحلف أمامهم وفعل تاج الدين ذلك واستقبل وفده بالفاشر خير استقبال وتم الصلح بين الطرفين عام 1907م. (22)

كان السلطان على دينار يؤمن بتبعية دار مساليت لسلطنته ولكن المساليت لم يستسلموا لأنهم أسسوا كيانهم ودبلوماسيتهم وقرر على دينار أن يحسم الأمر عسكرياً وأرسل قوة عسكرية مكونة من فرقتين الأولى بقيادة آدم رجال تحركت

عبر الجنوب طريق وادى أازوم وضمت البنى هلبة والهبانية والداجو والبرقد والبرتى والثانية بقيادة محمود الدادنقاوى عبر الشمال ماراً بمناطق الزغاوة أمبرو وكرنوى والطينة وانضم إليها سلاطين الزعاوة.(23)

من جانب آخر جمع السلطان أبكر كبار رجالات السلطنة واستشارهم فى الأمر لكيفية ملاقاة جيش على دينار فاقترح عليهم تاج الدين ضرورة ملاقاة جيش محمود الدادنقاوي أولاً ومن ثم ملاقاة جيش آدم رجال وجدت الفكرة قبولاً من جيش السلطان أما رأى حسن كنجى تقسيم جيش المساليت لقوتين وملاقاة القوتين في وقت واحد وأصر على رأيه وقسم الجيش لقسمين قوة بقيادة تاج الدين والأخرى بقيادة السلطان ابكر، تحرك تاج الدين لملاقاة آدم رجال وعسكر فى دار قمر وعندما علم به آدم رجال تحاشى الطريق وابتعد عنه، أما السلطان ابكر ضرب خيمته وتحمه حوله المساليت تتحرك نحو قدنى ومنها إلى مقرنى وسرحوا خيولهم للماء والمرعى.(24)

أما جيش الفور قد وصل إلى ملتقى وادي بارى ونزل هناك وأحكموا التحصينات وشعر الفور أن المساليت وصلوا مرهقين وقاموا بهجوم مباغت على المساليت الذين ألتفوا حول السلطان وأنسحبوا تاركين السلطان وحده وقليل من جهاديته واشتد القتال وكان بوق الفور مع رحمه أبدرقى الذى كان يصيح بأعلى صوته أين الجاموس؟ وأخيراً انكشف ظهر السلطان فأمر ابنه بدوى بالتحرك إلى درجيل لترحيل العائلة إلى دار سلا ونزل السلطان من حصانه زرزور وفرش فروته وصلى ركعتين وأعلن استسلامه فحاصره جيش على دينار وأسروه وأرسلوه إلى السلطان على دينار بالفاشر(25)

سعى السلطان على دينار لأن يبني علاقات مع السلطات الإنجليزية الغازية فى الخرطوم ويلعب على التوازنات حتى لا يدخل فى مواجهات مع الإنجليز فى السودان أو مع الفرنسيين فى وداى دولة تشاد الحالية، وكان على دينار متوجساً من السنوسية في ليبيا وحينما أستاذنه الأستاذ المهدي السنوسي فى رحلته للحج عبر دارفور فى عام 1905م اعتذر له عن ذلك أن بلاده غير آآمنه ولكن ظلت علاقاته مفتوحة وكان يستورد منهم السلاح، نجح علي دينار فى حمل الإدارة البريطانية على تبني أاجندتها القائمة على ابعاد فرنسا من دارفور والتقى عام 1910م بسلاطين ممثل حكومة السودان بالقائم بأعمال سفارة فرنسا فى القاهرة واتفقا على تهدئة بين فرنسا وعلي دينار وألا تهاجم فرنسا قبائل المساليت والتاما وألا يقوم على دينار بإيواء الفارين من سلاطين وداى الذين رفضوا الانصياع للاستعمار الفرنسى.(26)

لكن لم يلتزم الفرنسيون بالهدنة وأشعلت الحرب مرة أخرى بين المساليت وفرنسا وقتل الفرنسيون السلطان تاج الدين سلطان عموم دار مساليت فى 9 نوفمبر 1910م بعد معارك ضارية كما اعتقلت القوات الفرنسية قادة المقاومة وأصبح ثلث دار مساليت تحت سيطرة القوات الفرنسية بالإضافة إلى دار قمر ودار سلا ودار تاما (27).

مقاومة على دينار للفرنسيون وتكوين حلف مع السنوسية ودار مساليت ضد الفرنسيين:

اشتكى السلطان علي دينار للإدارة البريطانية من عدوان الفرنسيين وأوصت الحكومة البريطانية علي دينار بالصبر واقترحت للحكومة الفرنسية التحكيم الدولى لحسم تبعية دار مساليت لوداي أو دارفور ولكن قبل أن تكتمل إجراءت ذلك انفجرت الحرب العالمية الأولى فى أغسطس 1914م بين دول الحلفاء بقيادة بريطانيا وفرنسا وإيطاليا ودول المحور بقيادة ألمانيا وتركيا، بينما كانت بريطانيا مشغولة بخصميها ألمانيا وتركيا كان علي دينار مشغولاً بحرب دارفور مع الرزيقات والفكى سنين التاماوي فى كبكابية (28)

بدأت لهجة على دينار تتغير تجاه الإدارة البريطانية مع إعلان الحرب العالمية الأولى ودخول بريطانيا وفرنسا الحرب ضد تركيا وألمانيا وسعى الحاكم العام البريطانى لاختبار ولائه حيث قام بإرسال سفر الولاء للسيدان على الميرغنى وعبد الرحمن المهدى والسيد الشريف الهندى ولكن كان رد علي دينار حمال أوجه، حيث ذكر بأن شرفها لهم وهو ليس مسؤلاً عن مشاعرهم وولائهم للإنجليز واتهم الإنجليز بأنهم غيروا وبدلوا فى الإسلام وأن الله سيحكم بينه وبينهم، وفى 3 فبراير 1915م كتب وزير الحربية التركى أنقر باشا خطاباً طويلاً لعلي دينار مجده فيه ثم دعاه للثورة على بريطانيا والانضمام للكفاح المسلح ضد الكفار، وكتب كذلك علي دينار خطاباً مطولاً للسيد علي المرغنى يحكى فيه تظلمه ويبث شكواه من الإدارة البريطانية فى السودان وأصبح هاجس قوي بينهما وفكر الإنجليز فى الإنقلاب على السلطان علي دينار ورسموا خططاً للتعامل معه فى دعواه ودعايته الدينية ضد الإنجليز وأصبح الإنجليز المنقذ لأهل دارفور من ظلم علي دينار وتحالف الإنجليز مع القبائل العربية المعادية للسلطان منها الرزيقات والهبانية والبنى هلبة والكبابيش.(29)

اتجه علي دينار للسنوسية في ليبيا وأرسل للدولة العثمانية وكتب في عام 1916م كتابا للشريف يوسف الهندى قائلاً إن السلطان محمد رشاد الدين وأولاده السنوسي قد أرسلوا له ما يفيد بانتصاراتهم على الايطاليين وامدوه بالسلاح والأسرى، كما كتب للسيد أحمد الشريف السنوسي صاحب السجادة السنوسية وقائد المقاومة ضد الطليان يطلب نصرته لاستعادة

السودان من حكم الكفار، وفى خطاب أخر للسلطان على دينار كتب للتركية ذاكراً لهم بأن دارفور قد أصبحت مسلمة قبل فتح استانبول وأنه ظل يرسل المحمل لمكة كل عامين منذ عام 1900م.(30)

حاول علي دينار إرسال قوة لإخضاع السلطنات الحدودية ودار مساليت والجيوش الفرنسية ولكن جيوشه باءت بالفشل واستعمل خطة ثانية وهى الحصار الاقتصادى وبعد احتلال الفرنسيين أبشى أغلق علي دينار الطرق التجارية بين الوداى ودارفور لمدة ثلاثة أعوام وأصبح يصادر جميع البضائع الصادرة إلى الوداي وتعاون مع على دينار السنوسية فى ليبيا أوقفت التجارة مع وداى وأرغمت التجار بالتعامل مع الفاشر فقط، إلا أن الفرنسيين قد تمكنوا من السيطرة على الأراضى السنوسية وأرسلوا قوافل إلى كردفان إلى ككفي قنجى بالجنوب وتخوف علي دينار وأرسل قافلة تجارية إلى أبشي عام 1912م تحمل الأقمشة البيضاء والزرقاء والسكر بصحبة ابنه الذي حمل خطاباً إلى حاكم أبشي الفرنسى وبهذا قد استلم علي دينار للأوضاع الحدوية فى حدوده الغربية ورغم ذلك استمر على دينار يحاصر دار مساليت نسبة لأطماعه فيها (31).

مقاومة سلطنة دار مساليت للاستعمار الفرنسي وتأثير ذلك على حكم السلطان علي دينار:

بعد هزيمة الفرنسيون في كريندق علي أيدي المساليت فرح السلطان علي دينار وكتب خطاباً للحكومة الإنجليزية مفتخراً (بأن رجاله المسؤلين عن دار مساليت قد قضوا على الفرنسيين لآخر رجل، بعد انتصار المساليت على الفرنسيين أرسل السلطان تاج الدين هدايا من الخيول والأسلحة للسلطان علي دينار و التي كانت هدايا فخر واعزاز وبموجب ذلك أطلق علي دينار جميع أسرى المساليت المعتقلين بالفاشر وجمع علي دينار المساليت وخيرهم بالبقاء في الفاشر أو بالعودة إلى ديارهم.(32)

بانتصار المساليت على الفرنسيين أصبح السلطان علي دينار منزعجاً جداً من نشاط الفرنسيين على حدوده الغربية، ونقل ذلك الانزعاج إلى حكومة السودان، التي لم تقدم له أكثر من نصحه بالصبر، وبأن يكون واثقاً من أن الحكومة معه، وفي الوقت الذي كان فيه الفرنسيون ينتظرون التعزيزات من دولتهم، كانت مقاومة المساليت تفكر في المبادرة بالهجوم. تحالف تاج الدين مع علي دينار؛ وبدأ التنسيق بين القادة العسكريين من دار مساليت ودارفور للتخطيط لهجوم مشترك على أبشي. كذلك جرت محاولات للتنسيق بين قوات دارفور وقوات دود مرة سلطان وداي الذي كان يحارب الفرنسيين الذين احتلوا العاصمة أبشي؛ غير أن الأخير رأى ضرورة أن يتم الهجوم على الفرنسيين من كلا القوتين بشكل منفصل(33)

جاء السلطان بحر الدين الشهير بأندوكة خلفاً لوالده السلطان تاج الدين وأعلن استسلامه للفرنسيين وأرجع لهم جميع الأسلحة التى أخذها المساليت فى معركتى دروتى وكريندق ووقع معهم صلحاً، وكتب السلطان علي دينار لبحر الدين قائلاً باسم فخامة الأمير محمد بحر الدين بن الأمي أبكر نحييكم لقد اطلعنا على رسالتك وفهمنا ما بها فيما يخص موضوع الوجود الفرنسى فإن استقبالك لهم وتسليمك للأسلحة التى غنمتموها منهم لدليل على الضعف نحن لا نوافق على إرجاعكم للأسلحة ونلومكم بشدة على ذلك وما ذكرت سابقاً ما أتى بهم لدار مساليت ليس لجمع أشلاء موتاهم، اطع أوامرنا واخضع لما نطالبك به ولا تخضع بالأوهام هل تظن المسيحيين سيتركونك تعيش بأمان فأنت سلبت أسلحتهم لا ورب الكعبة نحن الذين نبعدهم من بلادك وستنخلص منهم بالسياسة والتسوية ولم تكون لهم أى حقوق عليك) (رد السلطان بحر الدين لعلي دينار قائلا: ولتعلم أن دار مساليت هي أرض أجدادي وأحفادي من بعدي وهذا البلد اشتهر باسمى ولقد سئمت من تجاوز الفرنسيين وأرغب أن تحاول اتباع نصائحي وذلك باتباعك للطريق المستقيم حتى تسلم وترضى ربك ورسولك وستكون دارفور موحدة وعلى رأسها حكومة واحدة) أرسل بحر الدين خطاب علي دينار لحكومة فرنسا وكتب خطاب اعتزار وعفو وسلام لمملكة فرنسا وأبدى فيه تعاونه التام مع الفرنسيين وطلب أندوكة فرقة عسكرية فرنسية لحمايته من على دينارى متكفلاً بالإعاشة والسكن وأوعدوه بالحماية فى حالة غزو على دينار لسلطنته وتبادلا الهدايا، وأخيراً تمكنت قوات الإنجليز من محاصرة السلطان علي دينار وقتله فى 6 نوفمبر 1916م وأصبحت دارفور جزء من السودان الحالي وفي عام 1919م تمت صفقة فرنسية بريطانية اتفاقية قلانى التي بموجبها تم إلحاق دار مساليت بالسودان ودار تاما وبرقو لتشاد وطويت صفحة السلطان علي دينار.(34)

خاتمة:

لا شك أن سلطنة دارفور في عهد رائدها السلطان علي دينار خادم الحرمين الشريفين ارتبطت بعلاقات خارجية وداخلية ودخلت في حروب مختلفة مع قبائل دارفور وامتد السلطان علي دينار غرباً خوفاً من تقدم نفوذ الفرنسيين وتطورت العلاقات بينه ودار مساليت وتبادل مع سلاطينها الهدايا وتوطدت العلاقة بينهما إلى أن سادها سيل من الانجراف السياسي أدى إلى توتر العلاقة بينهما، مع ذلك ساهم سلاطين دار مساليت في حماية السلطان علي دينار من تمدد نفوذ الفرنسيين القادمين من تشاد وأبلوا بلاءاً حسناً في حماية أراضيهم ووطنهم.

توصلت هذه الدراسة إلى بعض النتائج التي يمكن إجمالها في الآتي:

1. سلطنة دار مساليت إرث حضاري في زمانه والوقت الحاضر.
2. التراث الإسلامي البطولي الذي خلفه المساليت يعد ذخيرة للمسلمين.
3. رغم التنافر بين السلطنتين إلا أن هناك قواسم مشتركة بينهما في العادات والتقاليد.
4. تعد سلطنة دار مساليت ذات أهمية كبرى للسلطان علي دينار توسعاته الداخلية.
5. مقاومة المساليت للفرنسين تركت أثراً طيباً لدى السلطان علي دينار.
6. مقاومة دار مساليت والسلطان علي دينار ضد الغزو الفرنسى بمثابة التوافق على روابط تاريخية تمثل حائط صد ضد أي نفوذ أجنبي يمكن أن يهدد أمن وسلامة السلطنتين في المستقبل وإسلامية بين السلطنتين.

من أهم توصيات الدراسة:

1. جمع البحوث والدراسات المتعلقة بسلطنة دار مساليت.
2. الاهتمام بموروث سلاطين المساليت وعلاقاتهم الخارجية.
3. على الجامعات السودانية دراسة سلطنة المساليت كمنهج من المناهج الدراسية المقررة.
4. على الباحثين إجراء بحوث حول العلاقة المشتركة بين السلطنتيين.
5. الاهتمام بالتراث الشعبى الذى يحكي عن السلطنتين.
6. جمع مقتنيات السلطنتين والمقارنة بينهما.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن والسنة

1. إبراهيم يحى محمد، كتاب المساليت، مطابع حصاد للطباعة والنشر، الخرطوم،2000م.
2. البخاري عبد الله الجعلي، حدود السودان الغربية مع تشاد وأفريقيا الوسطى وليبيا، (ب–ت) الشركة العالمية للنشر والتوزيع.
3. سلاطين باشا، السيف والنار فى السودان، ط3، 1978م، الفاشر، عالم الكتب، أم درمان.
4. عبد الرحمن عمر الماحى، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال1894– 1960م، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1982م.
5. محمد بن عمر التونسي،– تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعد، القاهرة، الدار البيضاء،1965م.
6. محمد مفتاح الفيتورى، ديوان عاشق من أفريقيا، قصيدة البطل الشهيد السلطان تاج الدين سلطان دار مساليت الخرطوم ،1968م، ط1، دار عزة النشر للتأليف.
7. محمد إبراهيم أبو سليم، الآثار الكاملة للإمام المهدي، المجلد5، 1993م.
8. محمد إبراهيم أبوسليم، الفور والأرض وثائق وتمليك، مدير مركز الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، كراسة رقم 10.
9. موسى المبارك، تاريخ دارفور السياسى 1986م، جامعة الخرطوم، دار جامعة الخرطوم النشر والتأليف.
10. مكى شبيكة، السودان عبر القرون، دار الثقافة،بيروت، لبنان، 1964م.
11. نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار الثقافة السودانية، بيروت – لبنان1967م.
12. يوسف فضل حسن، مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية فى السودان الشرقى،1450– 1821م، جامعة الخرطوم، 1989م.